



أشعار

أسبهدوست بن محمد بن الحسن بن شيرويه
الديلمي (٣٨٢ : ٤٦٩ هـ) جمعاً ودراسة

بِقلم الدكتور

رمضان خليفة فريج حسن

مدرس بقسم الأدب والنقد كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر
جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢ م
الجزء الخامس (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠ / ٢٠٢٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشعار أسبهدوست بن محمد بن الحسن بن شيرويه الديلمي (٣٨٢ : ٤٦٩ هـ) جمعاً ودراسة

رمضان خليفة فريج حسن

قسم الأدب والنقد كلية اللغة العربية جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: ramdann20200@gmail.com

الملخص

أسبهدوست شاعر من شعراء الأسرة الديلمية، بارع الشعر، مطبوع المعاني، رشيق الألفاظ فأشعاره جديرة بالوقوف عليها وإخراجها في صورة علمية. وقد بدا لي أن أقسم هذا البحث ثلاثة أقسام: حياة الشاعر والمؤثرات في شعره.

قضى جل حياته في حمص وهي من أوسع من مدن الشام في نساها جمال، انتشرت فيها الخلاعة فكانت أرضاً خصبة لخلاعه ومجونه، أهلها من غلاة الشيعة، ويبدو أن أسبهدوست تأثر بهذه البيئة فكان شيعياً من الرفضة. وهو من الشعراء العور، وترك هذا العور أثراً في نفسه؛ حيث شعر بالنقص وحاول أن يعوض هذا النقص وذلك بتحسين صورة العور. جمع أشعاره.

ولشعره مصادر منثورة في بطون الكتب وخاصة في كتب التراجم وبعض كتب الأدب، ومن هذه المصادر:

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للتعاليبي المتوفى ٥٤٢٩ هـ.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى ٥٤٦٣ هـ، أورد له ثلاثة عشر بيتاً.
وتنوعت فنون شعره بين شعر المجون والغزل والوصف والهجاء والثناء.
الدراسة الفنية لهذه الأشعار.

- ألفاظه خفيفة الوقع على السمع بعيدة عن الابتذال والسخرية.
- شعاع الأسلوب الخبري في شعر الشاعر، ومعانيه تتسم بالوضوح.
- اتكأ على الكثير من الصور الجزئية في التعبير عن عاطفته كما شاعت المحسنات البديعية في شعره. الخاتمة أرصد فيها بعض نتائج البحث.
الكلمات المفتاحية: أسبهدوست، الشعر، الموضوعات، الدراسة الفنية.

The poems of Asbahdost bin Muhammad bin Al-Hassan bin Shiroyeh
Al-Daylami (382: 469 AH) collection and study

Ramadan Khalifa Foraj Hassan

Lecturer of Literature and Criticism at Al-Azhar University - Faculty of Arabic
Language in Cairo .

Email: ramdann20200@gmail.com

Abstract

Asbahdost was one of the most skilled and profound poets of the Daylamite family. His poetry deserves to be studied in a well-academic way. This research is divided into three sections :

- The life of the poet as well as the major influences on his poetry.

Asbahdost spent most of his life in Homs, one of the largest cities in the Levant. Due to the extreme beauty of Homs' women, immorality spread in it, which was a fertile ground for Asbahdost's immorality. People in Homs were ultra-Shiites, and it seems that Asbahdost was influenced by that environment since he was a Shiite of the Rejectionists (Rafida). Asbahdost was a one-eyed poet, which left a bad impression on himself. Accordingly, he tried to compensate for this deficiency by improving the image of the one-eyed in his poetry.

- Collecting his poems.

Asbahdost's poetry can be traced in a number of sources, especially in books of translation as well as some books of literature, such as:

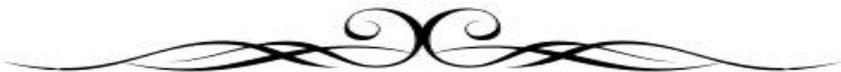
- The Orphan of the Age in the Merits of the People of that Age by al-Thaalibi, died in 429 AH.
- The History of Baghdad by al-Khatib al-Baghdadi, died in 463 AH, where thirteen verse lines were reported to him.

Asbahdost's poetry includes different themes such as promiscuity, love, description, satire and elegy.

- The technical study of his poetry.
 - The words chosen by Asbahdost in his poetry are light on hearing. They are far from vulgarity or irony.
 - His poetry is known for its declarative style.
 - It is also known for its clear meanings.
 - Asbahdost relied on many partial images to express his affection, just as the rhetorical devices are common in his poetry.

The conclusion gives some of the search findings.

Keywords: Asbahdost - Poetry - Themes - Technical Study.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، ويدفع عنا
نقمه والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، النبي الأمين سيدنا محمد
المبعوث؛ رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر
الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فأسبهدوست شاعر من شعراء الأسرة الديلمية^(١)، قيل عنه: إنه بارع
الشعر بديعه، مطبوع المعاني، رشيق الألفاظ، من أطبع الناس شعرا
وأحسنهم قولاً^(٢)؛ فهي إذن أشعار جديرة بالوقوف عليها، وإخراجها في

(١) قمت بترجمة وافية لهذه الأسرة في بحث سابق (رسالة التخصص الماجستير) الموسومة ب
(رسائل قابوس بن وشمكير دراسة فنية) ٢٠١٣م تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ السيد
الدد- رحمه الله- والدكتور/ مصطفى عبد العاطي غنيمي في هامش ص ٦.

— قدمت لنا هذه الأسرة الكثير من الجواهر واللائق، فقدمت لنا قابوس بن وشمكير برسائله
البديعة، وشعره الأبدع، وعنصر المعالي بحكمه ووصاياه في كتابه (النصيحة) وهو قابوس
الثاني كيكافوس بن إسكندر بن قابوس بن وشمكير عاشر الأمراء الزياريين، وسابع
ولاتهم، حكم قهستان من سنة ٤٤١هـ إلى ٤٦٢هـ وهي السنة التي توفي فيها، ينظر
قابوسنامه، تعريب محمد صادق نشأت، أمين عبد المجيد بدوي، ط ١، ١٢٧٨هـ / ١٩٥٨م،
ص ٢٠. ومهيار الديلمي، شاعر زمانه، وهو مهيار بن مرزويه أبو الحسن، أو أبو
الحسين الديلمي شاعر كبير، في معانيه ابتكار، وفي أسلوبه قوة، جمع بين فصاحة العرب،
ومعاني العجم، ولد في الديلم في جنوب جيلان على بحر قزوين، كان مجوسياً فأسلم سنة
٣٩٤هـ على يد الشريف الرضي، وهو شيخه، وعليه تخرج في الشعر والأدب وله ديوان
شعر توفي ٤٢٨هـ، ينظر الأعلام للزركلي دار العلم للملايين، ط ٥، ١، ٢٠٠٢م ج ٧ ص ٣١٧،
وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء النحوي آخر من قرأ على أبي علي الفارسي، وهو اليوم
تاريخ النحو في المشرق، أدبه كثير، وشعره مستملح، ينظر المجموع اللغيف ص ٣٢١.

(٢) ينظر تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ت/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ج ٢١ ص ٥٩.

صورة علمية؛ ولكنها أشعار منثورة في بطون الكتب، وخاصة كتب التراجم والطبقات، وبعض كتب الأدب؛ ومن هنا كان جزءاً من عملي في هذا البحث أن أجمع هذه الأشعار، وأضُمُّ شاردها، وأصنّفها تحت أيّ فن من فنون الشعر، وذلك بعد أن ألقى الضوء على حياة الشاعر والمؤثرات في شعره، ثم أختم البحث بدراسة فنيّة، أبرز من خلالها أهم خصائص هذه الأشعار؛ حتى نستطيع الحكم عليها، ووضع صاحبها في مكانه اللائق بين شعراء عصره - العصر العباسي الثاني - ومن هنا بدا لي أن أقسم هذا البحث ثلاثة أقسام:

• حياة الشاعر والمؤثرات في شعره.

• جمع أشعاره.

• الدراسة الفنية لهذه الأشعار.

حياة الشاعر والمؤثرات في شعره

نسبه وميلاده:

أسْبَهُدُوسْت^(١) بن محمد بن الحسن بن أسفار بن شيرويه أبو منصور

(١) في البداية والنهاية، لابن كثير، دار الفكر، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م اسمه (أسفهدوست)، وكذلك في (النجوم الزاهرة) لابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب مصر، ج ٥ ص ١٠٤، اسمه (أسفهدوست) أيضاً. أما في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، ت/ محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ج ١٢، ص ١٨٤، اسمه (اسبهدوست)، وكذلك في تاريخ أربيل، لابن المستوفي، ت/ سامي بن سيد خماس الصقل، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ج ٢ ص ٨٤٩.

الديلمي الشاعر، ديلمي الأصل، شامي الوطن^(١)، ولد ٥٣٨٢هـ، ولم تحدد المصادر مكان مولده، ويبدو أنه ولد بحلب؛ حيث كان أبوه من جند سيف الدولة الحمداني؛ حتى عدّه البعض من الشعراء الحمدانيين^(٢).

نشأته:

نشأ أسبهدوست في ظل والدٍ عسكري، ولكن يبدو أن شغله العسكري شغله عن تربية ابنه، كما أنه لم يتمكن من إحقاقه بالجيش الحمداني؛ نظراً لعور عينه، أسر أبوه مع أبي فراس الحمداني في معاركه مع الروم سنة ٥٣٥١هـ، ظلوا في أسرهم أربع سنوات، لم يكن لهم خدين ولا صاحب إلا كتاب يقرأونه، وكان أبو فراس لا يأنس إلا بأن يسمر في مجلسه بكتاب تاريخ الطبري، فأعاده عدة دفعات، وكان ذلك بمسمع من أبي منصور هذا، فخرجوا من الإسار، وأبو منصور هذا من أحفظ خلق الله لتاريخ الطبري وأجودهم مذاكرة به، فكان ذا ثقافة تاريخية، عاصر أسبهدوست في أحداثه

(١) تنظر ترجمته في فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، ت/ إحسان عباس، دار صادر بيروت ط ١٩٧٣ ج ١ ص ١٦٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ت/ إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٠٠م، ج ٣ ص ٢٤٧. و تاريخ الإسلام شمس الدين الذهبي، ت/ د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ط ١، ٢٠٠٣م ج ١ ص ٢٧٥، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ت/ مصطفى عبد القادر عطا ط ١٧٤١ هـ ج ٢١، ص ٥٩.

(٢) ينظر الشعور بالعور، صلاح الدين الصفدي، ت/ عبد الرازق حسين، دار عمار عمان الأردن، ط ١، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م، ص ٢٥٧، وإن كنت أرى أن نسبته إلى شعراء الدولة الحمدانية غير دقيقة، وذلك لأن لم يدرك من الدولة الحمدانية إلا عقدين من عمره، حيث انقرضت الدولة الحمدانية وعمره عشرون سنة، أو يزيد قليلاً، كما لم نجد له شعراً يمدح به خلفاء الدولة الحمدانية، وعاصر منهم أبا الفضائل الذي كان ألعوبة في يد مدبر جيشه لؤلؤ الجراحي، وعلى يديه انقرضت الدولة الحمدانية، فلم يستحق مدحاً ولا ثناء، ينظر نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٦ ص ١٦٢.

من الخلفاء الحمدانيين أبا الفضائل بن سعد الدولة^(١) آخر ملوك الدولة الحمدانية، الذي جعل الأمر في يد غلامه مرتضى الدولة بن لؤلؤ الجراحي مدبر جيشه، وعلى يديه انقرضت الدولة الحمدانية ٤٤٠٤هـ^(٢)، قضى جلّ حياته في حمص وهي من أوسع مدن الشام، يؤمها الكثير من الشعراء؛ لأن معاشهم رقيقة، وفي نسائهم جمال، وحسن بشرة، كثيرة المياه والأشجار، كما انتشرت فيها الخلاعة، فكانت أرضاً خصبة لخلاعته ومجونته، أكثر ساكنيها ماجنون حتى قضاتها، فيروى أن رجلاً وامرأة تحاكمان إلى قاضياها، فقالت المرأة: هذا رجل أجنبيّ مني، وقد قبّلتني، فقال القاضي: قومي إليه وقبليه كما قبلك، فقالت: عفوت عنه^(٣)، أهلها من غلاة الشيعة النصيرية^(٤)، حتى إن في أهلها كثيرا ممن يسبون السلف، فقليل عنهم: " فقد التزموا الضلال أولا وأخيرا، فليس لهم زمان كانوا فيه على صواب"^(٥)، ويبدو أن أسبهدوست تأثر بهذه البيئة، فكان شيعيا من الرافضة، وسب الصحابة - رضوان الله عليهم - في أشعاره.

(١) أبو الفضائل بن سعد الدولة أبي المعالي شريف بن سيف الدولة أبي علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون، ولي ٣٨١هـ، حيث عهد إليه أبوه وأوصى لؤلؤا الجراحي، وجعله مدبر جيشه

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٦ ص ١٦٢.

(٣) أثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني المتوفى ٦٨٢هـ، دار صادر بيروت ج ١ ص ١٨٤

(٤) هم من غلاة الشيعة الرافضة الذين يدعون إلهية علي- رضي الله عنه- وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، ينظر آل رسول الله وأليائه، محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، ص ١٤٣.

(٥) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ط ٢ ١٩٩٥ م ج ٢ ص ٣٠٢

شيوخه، وتلاميذه:

لقي في حدائته ابن الحجاج الشاعر^(١)، وروى عنه ديوانه، ومن شيوخه أبو نصر بن نباتة السعدي^(٢)، وروى -أيضاً- عنه ديوانه، ومنهم أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري

(١) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره كان فرد زمانه في فنه، مع عذوبة الألفاظ وسلامة شعره من التكلف، ومدح الملوك والأمراء، وتولّى حاسبة بغداد، وأقام بها مدّة، وديوانه كبير، يقال: إنّه في الشعر في درجة امرئ القيس، ومن شعره:

يا صاحبيّ استيقظا من رقدة تزري على عقل اللبيب الأكيس
هذي المجرة والنجوم كأنّها نهر تدفّق في حديقة نرجس

من طرائفه أنه دعي إلى دعوة، وتأخّر عنه الطعام قليلاً، فقال:

يا ذاهباً داره جائياً بغير معنى وبلا فائدة
قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة

روى أسبهدوست ديوانه فتأثر به، وسلك طريقته - أي طريقة الخلاعة والمجون والسخف - في شعره، وكانت وفاته يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة ٣٩١ هـ بالنيل - بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم، والأصل فيه نهر حفره الحجاج بن يوسف في هذا المكان، ومخرجه من الفرات، وسمّاه باسم نيل مصر، وعليه قرى كثيرة، ينظر وفيات الأعيان، ج ٢ ص ١٦٨.

(٢) عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمي السعدي أبو نصر، من شعراء سيف الدولة الحمداني، طاف البلاد، ومدح الملوك، واتصل بابن العميد في الري ومدحه، قال ابن خلكان: معظم شعره جيد، كان يعاب لكبر فيه توفي ببغداد ٤٠٥ هـ، له ديوان شعر أكثره من مختارات البارودي، وروى عنه أسبهدوست ديوانه، ومن شعره في سيف الدولة الحمداني، وكان قد أهدى إليه فرساً من الكامل:

يا أيها الملك الذي أخلفه من خلقه ورواؤه من رائه
وقد جاءنا الطرف الذي أهديته هادية يعقد أرضه بسامته

ينظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٣

الغوي^(١)، روى عنه: أحمد بن خيرون^(٢)، وأبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري^(٣)، وأبو سعد أحمد بن محمد الزوزني^(٤)، وآخرون^(٥).

عوره وأثره:

كان من الشعراء العور، وترك هذا العور أثراً في نفسه، حيث شعر بالنقص، وحاول أن يعوّض هذا النقص، وذلك بتحسينه صورة العور، ويجعله زيادة في الجمال، ولم لا؟ وهو جزء من حبيبته

لست آسي لفقد إنسان عيني وجميع الجمال في معاضه
وحبيبي من مقلتي أخذ الخال وأعطى سوادها من بياضها^(٦)

(١) كان لغويا فاضلا، قارئاً للقرآن عالماً بالقراءات، وكان يتولّى ببغداد دار الكتب، وحفظها والإشراف عليها، وكان أبو القاسم عبد الله بن علي يقول: كان عبد السلام البصري من أحسن الناس، تلاوة للقرآن، وإنشاداً، وكان سمحاً سخياً، ربما جاءه السائل، وليس معه شيء يعطيه، فيدفع إليه بعض كتبه التي لها قيمة كبيرة، وخطر كبير، كان مولده ٥٣٢٩هـ، وتوفي يوم الثلاثاء سنة ٤٠٥هـ في خلافة القادر بالله^(١).

(٢) أبو الفضل البغدادي الباقلاني الحافظ، ثقة عدل، متقن واسع الرواية، كتب بخطه الكثير، وكان له معرفة بالحديث، روى عنه الخطيب في تاريخه، توفي ٤٨٨هـ ينظر تاريخ الإسلام، ج ١٠ ص ٥٩٠.

(٣) أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري العدل قاضي البيمارستان، توفي ٥٣٥هـ، ينظر معجم الشيوخ للسبكي، ت/ د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي ط ١، ٢٠٠٤م ص ١٦٩.

(٤) أبو سعد أحمد بن محمد بن علي بن محمود بن ماخرّة الزوزني، ثم البغدادي، ولد سنة ٤٤٩هـ قال السمعاني: كان منهما في الشراب توفي سنة ٥٣٦هـ، ينظر سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ج ٢٠ ص ٧٨.

(٥) تاريخ الإسلام شمس الدين الذهبي، المكتبة التوفيقية ج ٢١، ص ٢٨١.

(٦) خريدة القصر وجريدة العصر، ج ١ ص ٥٨،

وليكون تحسینه العور مقتعاً، تعشّق صيباً أعور، "وهذا من أعاجيب
حماقات العشاق"^(١) قال:

له عين أصابت كل عين وعين قد أصابتها العيون^(٢)

فقد حسن بفصاحته القبيح، وحبب الكريه، سمع أبو عبد الله محمد بن
أسد^(٣) هذا البيت، فقال: قاتله الله، والله ما أظنه إلا قال هذا الشعر؛ لما اعتنّ
معناه في نفسه، ثم طلب أعور يعشقه؛ ليجعله معرضاً لقوله^(٤)، أحس
باستخفاف الناس به، ومقتهم إياها من جراء هذا العور:

والأعور المفقوت مع قبحه خيراً من الأعمى على كل حال^(٥)

والدليل على استخفاف الناس به: ما حكاه البسامي^(٦) قال: رأيت أبا
منصور الديلمي، بحمص جالساً على بعض الدكاكين، وكان أعور؛ فاستنقلت
سخفه، وقيل لي: إنه شاعر فأردت العبث به، فقلت أيها الشاعر، عملت في
عورك هذا شيئاً، وانتظرت ينقطع ويخجل، فقال نعم وأنشدني: (ولست آسي
لفقد إنسان عيني) البيتين؛ فاقشعرّ بدني منه، وعلمت أنه من الصيد الذي
لا يحلُّ أكله؛ فشعره يدل على أنه من مفاخر الديار، وغزارة أدبه، وحسن

(١) المجموع اللفي لأبي جعفر الطرابلسي، دار الغرب الإسلامي بيروت ط ١٤٢٥ هـ ص ٣٢٢

(٢) الوافي بالوفيات ج ٢٢ ص ١٥١.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أسد بن علي بن سعيد القارئ، الكاتب البزاز البغدادي توفي

٤١٠ هـ، ينظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٤٢

(٤) المجموع اللفي، ص ٣٢٢.

(٥) الشعور بالعور، صلاح الدين الصفدي، ت/ د. عبد الرازق حسين، دار عمار، عمان،

الأردن، ط ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م. ج ١ ص ١٠٣

(٦) حسن بن محمد البسلي من آل نصر بن منصور بن بسام، ينظر المجموع اللفي،

ج ١ ص ٣٢٢.

طريقته في النظم ومذهبه؛ أطلق لسانه في الناس، وسب أعراضهم، وكان هذا انعكاساً لاستخفافهم ومقتهم إياه، فمن لم يتق الشتم يُشتم، سئل عبد الوهاب الأنماطي^(١) عنه، قال: "كان شاعراً يشتم أعراض الناس"^(٢)

لم يكفني بالري خيبة مطلبي حتى حرمتُ لذادة الإيناس
كالأعور المسكين أعدم عينه فاعتاض منها بغضه في الناس^(٣)

تشيعه وموقفه من الرفض:

كان أسبه دوست متشيعاً في بادئ أمره، وكان من النصيرية الرفضية الذين يسبون السلف، ويكفرون أكابر الصحابة، وخاصة أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - فهجا في أشعاره الصحابة وكان من أسباب تشيعه: بيئته التي نشأ فيها في حمص؛ حيث كانت مكاتنا خصبا للتشيع، وكان أكثر أهلها من الشيعة الرفضية، والإنسان ابن بيئته. ومن أسباب تشيعه - أيضاً - معاصرته دولتين شيعيتين (الحمداية^(٤) والمرداسية^(٥)) والناس على دين ملوكهم.

(١) عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد أبو البركات الأنماطي محدث بغداد في عصره، ولد ٤٦٢هـ في بغداد، وكان لا يجيز الرواية بالإجازة عن الإجازة، وجمع في ذلك تأليفاً، وكان على قانون السلف، لم تسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث، ينظر الأعلام ج٤ص ١٨٥.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ص ١٨٤.

(٣) الشعور بالعمور ج١ص ١٠٣. البيتان من (الكامل) نسبهما الثعالبي في يتيمته إلى شاعر يدعى (أبو المعلى ماجد بن الصلت المعروف بناقد الكلام اليماني) ينظر يتيمة الدهر، ت/ د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ٤ ص ٤٧٦.

(٤) كانت من الشيعة الرفضية، ينظر موجز التاريخ الإسلامي، أحمد معمور العسيري، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٥) أسسها صالح بن مرداس على المذهب الشيعي سنة ٤١٤هـ على المذهب الشيعي، وأبرز حكامها: صالح بن مرداس (٤١٤: ٤٢٠هـ) ونصر بن صالح (٤٢٠: ٤٢٩هـ) ومعز الدولة طمل بن صالح (٤٣٤: ٤٤٩هـ) ينظر موجز التاريخ الإسلامي، ص ٢٤٣.

مجونه وأسبابه:

كان خليعاً ماجناً؛ فظهر في شعره السخف والمجون؛ ولا غرو فإنه نشأ في حمص تحت ظلال التشيع، وانتشار الخلاعة والمجون، مع كثرة الحسان، ودور البغاء، فالمناخ العام في حمص يساعد على الخلاعة والمجون، فلم يكن هناك رادعٌ من خليفة أو حاكم، أو قاض، كما بينت آنفاً في قصة الرجل والمرأة اللذين تحاكمان إلى قاضيهما، وكيف كان حكمه يعكس الصورة التي كان عليها المجتمع في حمص، وكان ولوعاً بالشراب، فتحدث في شعره عن الخمر، وعن مجالسها، وندمائها، يقول من (الخفيف):

غنني يا أعزَّ ذا الخلق عندي حي نجدا ومن أكناف نجد

واسقتني ما يصير ذو البخل منه حاتما والجبان عمراً بن معدي^(١)

كما كان كثير الزنا؛ حتى ضرب به المثل، ف قيل عنه: (أزنى من قرد)^(٢)، ودعى في شعره إليه:

لا تبغ في الدنيا نكاحاً لازماً وافعِل بها ما يفعل الزنبور

أو ما تراه حين يدرك فرصة يدنو ويلسع لسعة ويطير^(٣)

(١) المجموع اللفيف، ص ٣٢٢.

(٢) هو قرد بن معاوية رجل من هذيل، وقد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: أسلم على أن تحل لي الزنا، فقال له ولوفده "أتحبون لبناتكم وأخواتكم؟" قالوا: لا، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- فأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم، فرجع بهم ولم يسلموا، ينظر الأمثال للهاشمي، دار سعد الدين دمشق، ط ١، ١٤٢٣ هـ ص ١٦.

(٣) فوات الوفيات ج ١ ص ١٦٢.

وهذا من أسخف الشعر وأمجنه، ففيه دعوة صريحة إلى الزنا، ونهي صريح عمّا أحله الله - تعالى - فلا تبغ نكاحاً لازماً، ولكن كن كالزنبور الذي إذا تمكّن من فريسته، يقضي وطره، ويطير غير مسؤول، كما كان شتّاماً، لعاناً، بذيء اللسان، يسبّ الناس، ويتناول أعراضهم.

عودته وتوبته:

تاب أولاً من تشيعه وحسنت توبته، وقال قصيدة، معلنا فيها موقفه الصريح من الرافضة، وحبه صحابة رسول الله وإيمانهم بأنهم خير الخلق بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها:

وأقول خير الناس بعد محمد صديقه وأنيسه في الغار

ثم الثلاثة بعده خير الورى أكرم بهم من سادة أطهار^(١)

ثم نزع عن الزنا نزوعاً نصوحاً، ويحكي لنا أسباب توبته منه، يقول: "كنت قد ذهبت لبعض أوطاري، فقعدت على باب الدار، أنتظر بعض من فيها، فرأيت صبيةً صغيرة، فاشتغلت بمحادثتها، إلى أن قلت لها: أتحبين أن أكون زوجك؟، فقالت: لا، فقلت: لم؟، قالت: أنت شيخ، فاعتقدت أن لا أعرّض للزنا أبداً؛ لأنه إذا بلغ من مشنوء منظري، ونكد طلعتي أن تأباني هذه الصبية التي لا عقل لها، فكيف بمن سواها؛ فتركت ذلك الشأن بالكلية، وله في هذا المعنى

إذ خلها شيخ مخل^(٢)

يخلو فراش خليلتي

(١) تاريخ الإسلام، ج ٢١، ص ٢٨١.

(٢) المجموع اللقيف ص ٣٢٤.

وفاته:

توفي في يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٦٩ هـ،
ودفن بمقبرة الخيزرانة بالعراق، وعمره سبع وثمانون سنة، مما سبق
يتضح أن من المؤثرات في أدبه:

- نشأته الأولى في ظل دولة بني حمدان، ثم معاصرته الدولة
المرداسية، وهما من الشيعة.

- نشأته في حمص، حيث التشيع وانتشار الخلاعة، والنساء الحسان،
ودور قضاء الأوطار.

- الأثر النفسي الذي تركه عور عينه، وشعوره بالنقص؛ مما جعله
يعوض هذا الشعور بتحسينه صورة العور في أشعاره.

- شعوره باحتقار الناس إياه، فأطلق لسانه في أشعاره بسبهم، وتناول
أعراضهم.

- تأثره بالكثير من الشعراء، وخاصة ابن الحجاج الذي نهج نهجه،
وسلك طريقته في شعره - طريقة اللهو-، مع عذوبة الألفاظ، وسلامة شعره
من التكلف، وغلبة الهزل عليه.

- روايته بعض دواوين الشعر، كديوان ابن نباتة، وابن الحجاج.

- تشييعه وسبه الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - في شعره.

- ولوعه بالشراب، فتحدث في شعره عن الخمر ومجالسها، وندمائها.

- إحساسه بالتفريط في حق نفسه، وفي جنب الله، فراح يستغفر الله،

وعكس كل ذلك شعره.



أشعاره

مصادرها:

كل ما أقدمه بين يدي القارئ من أشعار الشاعر، منشور في بطون الكتب، وخاصة في كتب التراجم، وبعض كتب الأدب، والتاريخ، اتفقت جلها في كثير من هذه الأشعار، وكان من النادر أن تنفرد بعض هذه المصادر ببعض الأشعار؛ كانفراد المجموع اللطيف بالببيت اليتيم (يخلو فراش خليلتي)، وأنا أوردها هنا مرتبة ترتيباً زمنياً، مبتدئاً بالأقدم ثم ما يليه، بحسب تاريخ وفاة المؤلف:

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي المتوفى ٥٤٢٩هـ، أورد له تسعة أبيات^(١).
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي المتوفى (٥٤٦٣هـ)، أورد له ثلاثة عشر بيتاً^(٢).
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، للأصفهاني المتوفى ٥٥٠٢هـ أورد له ثلاثة أبيات^(٣).
- المجموع اللطيف، لابن هبة الله العلوي، المتوفى ٥٥١٥هـ، أورد له ستة عشر بيتاً^(٤).
- الأفضليات، لابن الصيرفي المتوفى ٥٥٤٢هـ، أورد له أربعة أبيات^(٥).

(١) في ج ٥ ص ٥٧

(٢) في ج ٢١ ص ٥٩.

(٣) في ج ٢ ص ٧١٧.

(٤) ص ٣٢١.

(٥) ص ٤٠.

- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصبهاني، المتوفى ٥٥٩٧هـ،
أورد له بيتين^(١).
- غرائب التنبيهات، علي بن ظافر الأزدي المصري، المتوفى (٥٦١٣هـ)،
أورد له بيتاً واحداً^(٢).
- بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم المتوفى (٥٦٦٠هـ)، أورد له ستة
أبيات^(٣).
- وفيات الأعيان، لابن خلكان ت ٥٦٨١هـ، أورد له ثلاثة أبيات، ولم يجزم في
نسبتها إليه^(٤).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام للذهبي ت (٥٧٤٨هـ) ، أورد له
أربعة أبيات^(٥).
- الشعور بالعور، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ت / ٥٧٦٤هـ، أورد له
أربعة أبيات^(٦).
- نصره الثائر على المثل السائر، صلاح الدين الصفدي ت / ٥٧٦٤هـ، أورد
له أربعة أبيات^(٧).
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ت / ٥٧٦٤هـ ، أورد له ثلاثة عشر
بيتاً^(٨).

(١) في ص ٥٨.

(٢) في ص ١٢.

(٣) في ج ٣ ص ١٣٥٧.

(٤) ج ٣ ص ٢٤٦.

(٥) في ج ١٠ ص ٢٧٥.

(٦) في ص ١٠٨.

(٧) ص ٨٠.

(٨) ج ٢٢ ص ١٥١.

- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، ت/ ٥٧٦٤ أورد له أربعة عشر بيتاً^(١).
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود ت/ ٥١١٠٢، أورد له بيتين^(٢).
- نفحة اليمن، إبراهيم الشرواني ت/ ٥١٢٥٣، أورد له ثلاثة أبيات^(٣)
- مجاني الأدب في حقائق العرب، لشيخوت/ ٥١٣٦٤، أورد له خمسة أبيات^(٤)،
ومنهجي في جمع هذه الأشعار، يتمثل في الخطوات الآتية:
 - تصنيف أشعاره تحت فنّها الشعري.
 - أرتب فنونه الشعرية تبعاً لأطوار حياته التي مرّ بها، فأبدأ بمجونه، ثم غزله، ووصفه، وهجائه، وراثه، ثم أختم بعودته وتوبته فنمرّ بأشعاره على جميع مراحل حياته.
 - ترتيب مقطوعات الفن الواحد بحسب حجمها، فأقدم المقطوعة الأكثر أبياتاً على ما يليها من المقطوعات.
 - تفسير الغريب في بيوت أشعاره.
 - توثيق الأبيات، وتشكيل المبهم، وتخريج تضمين شعره.

(١) في ج ١ ص ١٦٢.

(٢) ج ٢ ص ٢٧٣.

(٣) ص ٢١٠.

(٤) في ج ٣ ص ١٩٣.

- بيان الأشعار التي نسبت له ولغيره، وترجيح النسبة الصحيحة بعد ذكر أسباب الترجيح.

- ترجمة الأعلام إن ورد ذكرهم في أشعاره، أو في مناسبة نصه.

- بيان الإعراب فيما يلزم، وشرح غريب الكلام.

- بيان البحر الشعري.

- بيان إن كان بالبيت اضطراب عروضي، وسبب هذا الاضطراب.

شعر المجون في الشراب^(١):

(الخفيف)

(١) اختلف في نسبة هذه الأبيات، ففي المجموع اللفيف، لأبي جعفر الطرابلسي، دار الغرب الإسلامي بيروت ط ١٤٢٥هـ، ص ٣٢٢، نسبها إلى (أسبهدوست)، وأورد الأبيات كاملة، وفي الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ١٥١، نسب البيت الأخير إلى (أسبهدوست)، وفي الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني، ت/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، القسم الرابع المجلد الثاني ص ٦٠٨، نسبها إلى (ابن رشيق القيرواني)، ولكن لم يذكر إلا ثلاثة أبيات (الأول والثاني والأخير)، وفي يتيمة الدهر، للثعالبي، ت/ د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، نسبها إلى (عبد المحسن بن محمد الصوري) أورد خمسة أبيات مشتركة (الأول والثاني والثالث، ولكن بدأه ب (فاسقتها ملأى) والرابع والأخير) وزاد بيتاً:

لي ما فوق وجنتيك من الورد مدام كالمسك في لون ورد

- ولكنه في موضع آخر في تنمة القسم الأول في محاسن أهل الشام ص ٥٧، نسب البيت الأخير إلى أسبهدوست برواية أخرى (في ابتداء الشباب عاجلني...) وأرى أن النسبة الصحيحة لهذه الأبيات لأسبهدوست؛ لاتفاق جل المصادر على أن البيت الأخير له، حتى من نسب هذه الأبيات إلى غيره، فقد نسب البيت الأخير له؛ كاليتيمة، هذا والله أعلم.

غني يا أعزَّ ذا الخلق عندي
حي نجدا^(١) ومن بأكناف نجد
واسقني ما يصير ذو البخل منه
حاتما^(٢) والجبانُ عمراً بن معدي^(٣)
واغتتم شربها^(٤) فقد فضح اللئيم
ل^(٥) هلالٌ كأنه فتر^(٦) زند^(٧)

(١) ما بين الحجاز إلى الشام إلى العذيب، ينظر الروض المعطار في خير الأقطار، لأبي عبد الله الحميري، ت/ إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ط ٢، ١٩٨٠م ص ٥٧٢. يخاطب في البيت ساقية الخمر أحب الخلق إلى قلبه، ملتصقاً منها أن تغني، حتى تحيَّ نجداً ومن بأكنافها.

(٢) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، يضرب المثل بجوده، توفي ٤٦٦ ق هـ / ٥٧٨م، ينظر الأعلام ج ٢ ص ١٥١.

(٣) عمرو بن معديكرب بن عبد الله الزبيدي الفارس المشهور، شهد القادسية، يضرب به المثل في الشجاعة، ينظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ت/ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ ١٤١٥ هـ — ج ٤ ص ٥٦٨. أي اسقني خمراً تذهب العقول، تجعل البخيل الشحيح، جواداً كريماً، وتجعل الجبان الضعيف شجاعاً، لا يخشى أحداً، فشرب الخمر قد يغير الطباع، فتحسن القبيح.
(٤) في اليتيمة (فاسقنيها ملأى).

(٥) وردت كلمة (الليل) كلها في الشطرة الأولى في جميع المصادر، ولكن ورود البيت بهذه الصورة يؤدي إلى الاضطراب العروضي، فيجب أن يكون البيت مدوراً (ما اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن كان بعضها من الأول وبعضها من الثاني، ومعنى ذلك أن تمام وزن الشطر، يكون بجزء من كلمة، ينظر أهدى سبيل إلى علمي الخليل، د. محمود مصطفى، مكتبة المعارف، ط ١ ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م) بأن تأتي لام الليل في صدر الشطرة الثانية، وتنتهي الشطرة الأولى بالياء الساكنة من كلمة الليل.

(٦) الفتر: الضعف والاكسار، والسكون بعد الحدة واللين بعد الشدة، ينظر أساس البلاغة للزمخشري، ت/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ / ١٩٤١ هـ / ١٩٩٨م، ج ٢ ص ٤.

(٧) الزند: العود الأعلى الذي تقتدح به النار، ينظر أساس البلاغة، ج ١ ص ٤٢٣، يقصد: هلال ضوءه خفت بعد توهج، وقد يقصد بالفتر: المقدار الذي يقدر بما بين طرف السبابة والإبهام إذا فحتهما، ويكون المعنى أن الهلال في تلك الليلة، يقدر مقداره بهذا المقدار أي صغير الحجم، ينظر معنى الفتر في مختار الصحاح لأبي بكر الرازي، ت/ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية الدار النموذجية، صيدا بيروت ط ٥ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م ص ٢٣٣.

- والثريا^(١) خفاقة في رواق^(٢) الـ غرب^(٣) تهوي كأنها رأس فهد^(٤)
وغدير^(٥) كأنما فيه مـرآ^(٦) ة تجلت عن جوهرِيّ الفِرند^(٧)
طينه عنبر^(٨) وحصاؤه^(٩) در^(١٠) ر عليه وماؤه ماء ورد^(١١)

(١) الثريا: النجم، وهو علم عليها لا أنها نجم واحد، بل هي منزلة للقمر فيها نجوم مجتمعة، جعلت علامة، ينظر تاج العروس، للزبيدي، ت/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، ماد (ثرو) ج ٣٧ ص ٢٧٠.

(٢) في اليتيمة (بجناح الغرب) ج ١ ص ٣٧١. ورواق الشيء: مقدمه وجوانبه، ينظر لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، ط ٣ ١٤١٤ هـ ج ١٠، ص ١٣٣.

(٣) وردت (الغرب كلها في الشطر الأول في جل المصادر) ولكن الأدق ما أثبتته، حتى يبرأ من الاضطراب، فالبيت مدور.

(٤) الفهد: سبع يصاد به من فصيلة السنوريات، مرقط بين النمر والكلب، يضرب به المثل في كثرة النوم والاستغراق فيه (أنوم من فهد) يقال: إنه ربما نام بين وثبتيه في طلب الصيد حتى يفوته، ينظر كتاب الأمثال زيد بن رفاعة الكاتب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١٣٥١ هـ ص ١٧، وينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ج ٣ ص ١٧٤٨. يقصد، أن النجوم في تلك الليلة دقيقة ساكنة في جانب الغرب فاترة، وكأنها رأس فهد الذي ضرب به المثل في التغافل والسكون.

(٥) الغدير: النهر، ج غدران، ينظر المصباح المنير ج ٢ ص ٤٤٣.

(٦) وردت في المصدر (مرآة) في الشطرة الأول، ولكن الأدق ما أثبتته، فالبيت به تدوير.

(٧) الفرند: وشي السيف وجوهره، ينظر لسان العرب ج ٣ ص ٣٣٤، يقصد: أن مياه هذا الغدير صافية غير مشوبة.

(٨) العنبر: ضرب من الطيب، ينظر الصحاح ج ٢ ص ٧٥٩.

(٩) الحصباء: الحصى، ينظر الصحاح ج ١ ص ١١٢.

(١٠) ورد في المصدر (در) في الشطرة الثانية، ولكن الأدق ما أثبتته، فالبيت به تدوير.

(١١) ماء الورد: محلول مائي يحضر بالتقطير البخاري للزهور الناضرة، ولهذا المحلول رائحة الزهرة المقطرة، المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٨٩٢، كلها أوصاف لهذا الغدير الصافي، فطينه طيب، وحصاه در، وماؤه ماء الزهور والورود.

ززعزته^(١) الصَّبَا^(٢) فكان كوجه
ليس في الناس يا فتى الناس خلق
في زمان الشباب قابلني الشبي
ساتر حسنه بفاحم^(٣) جعد^(٤)
يتعدّاه دهره المتعمّدي^(٥)
ب وهذا من أول الدنّ^(٦) دردي^(٧)

(١) ززعزته: حركته تحريكاً شديداً، يريد إزالته عن مثبته، ينظر المحكم والمحيط الأعظم ج١ص٧٧.

— ويعود الضمير هنا على الحصباء التي تعلقو النهر، ترحزحه الريح— أرى أن التعبير بالصبا هنا غير دقيق؛ وذلك لأن الصبا الريح الرقيقة والنسيم الهافي، وهي لا تحرك بشدة، وكان الأنسب أن يقول (الدبور) وهي الريح الشديدة التي تهب من جهة الغرب، وهي تقابل الصبا، فالصبا رقيقة وهي شديدة، ينظر الصحاح، ج٥ص ١٧٩٥— حتى تنكشف مياه النهر، فهو يشبه ماء هذا الغدير، بامرأة حسناء منتقبة بغطاء أسود، أو امرأة، شعرها أسود مجعد.

(٢) الصَّبَا: الريح الرقيقة، تقابل: الدبور، والصبا، ريح تأتي من الشرق، وتستقبل القبلة، ينظر العين ج٧ص١٦٦.

(٣) فاحم: شديد السواد، كالفحم، شعر فاحم: حسن أسود (لها مقلتا ريم وأسود فاحم) ينظر كتاب العين ج٣ص ٢٥٣.

(٤) الجعد من الشعر الذي فيه التواء، وتقبض خلاف المسترسل، أو السبط، ينظر المحكم والمحيط الأعظم ج١ص٣٠٣.

(٥) أي لا يوجد مخلوق، لا يصيبه الدهر بنوائبه وجرائره.

(٦) الدن: ما عظم من الرواقيد— الراقود: وعاء، أو إناء من الخمر مزخرف طويل مستطيل في أسفله كهينة قوس البيضة؛ وهو على هيئة (الحب) أي الجرة، فلا يقعد، ج (دنن) مثل سهم سهام، ينظر كتاب العين ج٨ص ٩.

(٧) الدردي: ما رسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شيء مانع كالأشربة والأدهان والخميرة، أي عكر أي شيء كالأشربة، ينظر تاج العروس ج١٣ص ١١٩. يخاطب الشاعر في هذه الأبيات ساقية الخمر أحب الخلق إلى قلبه، ملتصقاً منها أن تغني، حتى تحي نجداً ومن بأكنافها، وأن تسقيه خمراً تذهب العقول، فيصير البخيل كريماً، والجبان شجاعاً، والجو ملائم ومهيأ للشراب، فالليل منكسر ضوءه، والنجوم خفاقة، والغدير مياه صافية، طينه كالعنبر، وحبصاؤه در، وماؤه ماء ورد، فاسقيني أيتها الساقية قبل فوات الأوان، فليس هناك من يتعدّاه الدهر ويتركه على حاله، وأنا قد حاربني الدهر، فعاجلني الشيب في ابتداء شبابي.

وله: (الكامل)

يا طالب التزويج إنك بالذي تبغيه منه جاهل معذور
هل أبصرت عينك صاحب زوجة إلا حزينا ما لديه سرور
لا تبغ في الدنيا نكاحا لازما وافعل بها ما يفعل الزنُّبور^(١)
أو ما تراه حين يدرك فرصة يدنو ويلسع لسعة ويطير^(٢)

وله: (المجتث)

ما ليلة بت فيها ضجيع غصن وبدر^(٣)

- (١) الزُّبور: حشرة طائرة تعيش في مجموعات كبيرة من غشائيات الأجنحة ذات زوجين من الأجنحة، ذات لسعة مؤلمة، ويسميه العوام (الطنبور) معجم اللغة العربية، د. أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط ١ ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- (٢) فوات الوفيات ج ١ ص ١٦٢. وهذا من أسخف شعره، حيث ينفر من (الزواج)، مؤكِّداً دعوته بالدليل، فليس هناك صاحب زوج سعيد، إذن فمن يطلبه جاهل، فلا تبغه، ولا تطلبه، ويزين الزنا والفاحشة، ويدعو إليها.
- (٣) أي، ما ليلة بت فيها، مضاجعاً امرأة كالبدر، ذات قدَّ كالغصن، ألد من طيبه، وريقه الرطب العسل المشوب بالخم، فما أعظمها من ليلة! فجمعت شملنا، بعد طول بين، ولو طال الليل، ولم يبزغ فجره، وصبحه، لما كف فؤادي، ولكنت أيتها الليلة كليلة القدر أعظم، وأجل من ألف شهر، فمتعته التي كان يمكن أن يحققها إذا طال الليل، تعادل متعة ليالي ألف شهر، وذلك لأنها مع محبوبته، وليس مع غانية من الغواني السلات يذهب إليهن؛ ليقتضيَ وطره، وذلك كمن يصادف ليلة القدر، فتوابه في تلك الليلة يعادل ثواب ألف شهر، ما أسخف هذا التشبيه! وما أمجنه! فكيف يساوي هذا الشاعر الماجن بين ليلة القدر التي نص عليها القرآن بأنها خير من ألف شهر، وبين ليلة متعة، قضى وطره فيها مع محبوبته.

ألذ^(١) منه بطيب
جمعت بالوصل شملي
لو لم يردعني^(٣) فؤادي
لكنت ليلة قـدر
ومن جناه^(٢) بخمر
من بعد بين وهجر
بضوء صبح وفجر
أجلّ من ألف شهر^(٤)

ومنه: (الطويل)

سقاني شمول الرّاح^(٥) ساق كأنما سوافه^(٦) مسروقة من سلفها^(٧)

(١) نلحظ التضمين: وهو تعليق فهم البيت بصدر البيت الذي بعده، وهو نوعان: قبيح وجائز، وهو هنا من النوع القبيح، فخير (ليلة) الواردة في البيت الأول (ألذ منه بطيب) ينظر تعريف التضمين في أهدي سبيل ص ١٠٢.

(٢) الجني: الرطب والعلس، ينظر كتاب العين ج ٦ ص ١٨٢.

(٣) أرى أن تكون (لم يردع) بالبناء للمجهول؛ ويكون بالتفعيلة قصر (حذف ساكن السبب الخفيف وتسكين ما قبله)، ينظر الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، ت/الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٣ ١٥٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ص ٣٢، أما رواية (لم يردعني) كما في تاريخ بغداد ج ٢١ ص ٥٩ فتؤدي إلى الاضطراب العروضي، وكذلك رواية (لم يردعي) كما في هامش تاريخ بغداد ج ٢١ ص ٥٩.

(٤) تاريخ بغداد ج ٢١، ص ٥٩.

(٥) الراح: الخمر، أي سقاني خمراً مبرّدة بريح الشمال، ينظر الصحاح ج ١ ص ٣٦٨.

(٦) مفردة: سالفة، وهي جانب العنق، وفي الحديث "لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره" وهي كناية عن الموت، الحديث في صحيح البخاري رقم ٢٧٣١، ج ٣ ص ١٩٣.

(٧) السلاف: ما سال من الشيء من غير أن يعصر، أو أفضل الخمر وأخلصه، ينظر المخصص، لابن سيده، ت/ خليل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي بيروت ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ومعنى البيت: سقتني ساقية الخمر الراح المبردة بريح الشمال، هذه الساقية عنقها عندما تقبلها وتذوق ما يسيل عليها، فكانت تشرب أفضل الخمر وأخلصه.

فصلوا وقمنا جهرة بخلافها (١) بليلة فطر (١) قام فيه طوائف (٢)
مرأة (٤) تجلّى بعضها من غلافها (٥) ولاح هلال الفطر نضوا (٣) كأنه
وله: (الرجز المجزوء)
إذ خلتها شيخ مُخَلٌّ (٧) يخلو فراش خلتني (٦)

(١) قد يقصد بليلة الفطر هنا ليلة عيد الفطر، تلك الليلة فعلنا فيها خلاف ما يفعله الصالحون، فإذا كان الصالحون يقضون تلك الليلة في صلاتهم، وذكرهم، فأنا أحبيتها بالشراب، مجاهرا بشربها.

(٢) صرف الممنوع من الصرف؛ للضرورة.

(٣) أي ضعيف مهزول غير واضح، كالمرأة التي ينظر فيها من خلف غلافها. ينظر المصباح المنير ج ٢ ص ٦١٠

(٤) في (اليتيمة) مرآة، والأصوب ما أثبتناه كما ورد في (الوافي بالوفيات)؛ حتى لا يحدث اضطراب في البيت.

(٥) خريدة القصر، عماد الدين الأصبهاني ج ١ ص ٥٨. والوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٥١. لهذا البيت رواية أخرى:

وحاكي هلال الأفق في أعين الورى امرأة تبدي بعضها من إهابها

— أنشد الثعالبي هذا البيت في تنمة اليتيمة، وينظر غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، علي بن ظافر الأزدي المصري، ت/د. محمد زغلول سلام، ود. مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف القاهرة ص ١٢.

(٦) في المصدر (خليلتي) والأصوب ما أثبتناه؛ حتى لا يحدث اضطراب عروضي.

(٧) المجموع اللفيف ص ٣٢٤، وسبب نظمه لهذا البيت، أشرت إليه - أنفًا - ينظر ص ٩ في هذا البحث، محل: معدم فقير، ينظر المحكم ج ٤ ص ٥١٥. ونلاحظ الخلل في الضرب حيث أتى مرفلا (زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع، ينظر أهدى سبيل ص ٢٢) والرجز لا يستعمل مرفلا.

الغزل (الكامل الجزء المذيل)

نفسى الفدا لمن غدا^(١) قلبى أسيراً فى يديه
قمرٌ كأنَّ بخـده زهر الربيع وعارضيه
لمأ رأيت بدائعاً من حسنه تدعو إليه
أبصرت أعواناً على ي ولم أجد عوناً عليه^(٢)

ومن غزله: (الطويل)

ترى فى ابيضاض الكأس حمرة خده فتحسبها ملأى ولا شيء فى
الكأس^(٣)

وله: (المتقارب)

صدودك عني ولا ذنب لي يدل على نية فاسدة
فقد وحياتك مما بكيـت خشيت على عيني الواحدة

(١) نلحظ الاضطراب العروضي؛ حيث حذف فى التفعيلة الثانية أول الفاصلة الصغرى فأنت (لمن غدا) على مفاعلن.

(٢) تاريخ بغداد، ج ٢١، ص ٥٩. فى الأصل على بالياء المشددة فى الشطر الأول، ولكن يجب أن يفك التضعيف وتأتي الياء الثانية فى صدر البيت الثاني؛ حتّى لا يحدث اضطراب عروضي فى البيت. يقصد بالأعوان عليه بدائع حسنه وجماله، ولم يجد عوناً أى صبراً يعينه على هذا الجمال، ونلحظ التضمين فى البيت، حيث علق فهم البيت على ما يليه، فجواب الشرط (لما رأيت بدائعاً من حسنه) أتى فى البيت التالي (أبصرت أعواناً)

(٣) الأفضليات، لابن الصيرفي، ص ٤٠، أى يعكس زجاج الكأس حمرة خده- الذى يشبه الخمر فى احمرارها- فيبدو الكأس ويكأنه ملآن بالخمر، مع أنه فارغ لا شيء فيه.

لما كان في تركها فائدة^(١)

ولولا مخافة أن لا أراك

(١) اختلف في نسبة هذه الأبيات، على النحو الآتي: في (الشعور بالعمور)، ص ١٠٧: نسبها لابن جني، في (حياة الحيوان الكبرى)، كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية بيروت ط ٢، ١٤٢٤ هـ ج ١ ص ٤٣٣، نسبها أيضاً إلى ابن جني، في (الوافي بالوفيات) ج ١٩ ص ٣١٣ نسبها إلى ابن جني أيضاً، (في معجم الأدباء) ج ٤ ص ١٥٨٨، نسبها إلى ابن جني، في (نزهة الألباء في طبقات الأدباء)، أبو البركات كمال الدين الأباري، ت/ إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الزرقاء الأردن، ط ٣ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٢٤٥، نسبها إلى (ابن جني)، في (المآخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي)، عز الدين الأزدي المهلبي، ت/ د. عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض ط ٢، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٢ م، ج ٤ ص ٣٥ نسبها إلى (ابن جني) في (البداية والنهاية)، لابن كثير ج ١ ص ٣٨٠، نسبها إلى (ابن جني)، وفي مسالك الأبصار، لابن فضل الله العمري، المجمع الثقافي أبو ظبي، ط ١ / ١٤٢٣ هـ، ج ٧ ص ١١٧. نسبها إلى ابن جني، أما في زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود، نور الدين اليوسي، ت/ محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط ١ ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ج ٢ ص ٢٧٣، فلم يجزم بنسبتها، فنسبها إلى ابن جني، وقال: وقيل لأبي منصور الديلمي (أسبهدوست)، وفي وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٤٦، لم يجزم بنسبتها أيضاً، فنسبها إلى ابن جني، وقال: وقيل: لأبي منصور الديلمي، وفي نفحة اليمن، إبراهيم الشرواني، مطبعة التقدم العلمية مصر، ط ١ ١٣٢٤ هـ ج ١ ص ٢١٠، نسبها إلى (أسبهدوست)، وأرى أن النسبة الصحيحة لهذه الأبيات (لابن جني)؛ وذلك لاتفاق جل المصادر على نسبتها إليه، وهناك مصدران لم يجزما بنسبتها، ولم يجزم بنسبتها إلى (أسبهدوست) إلا مرجع واحد (نفحة اليمن) وهو يعد أحدث المراجع، حيث توفي مؤلفه ١٢٥٣ هـ، ينظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٢٤٦، يقول: إن صدور محبوبته عنه لشيء لا ذنب له فيه -عور عينه- دليل على نيتها الفاسدة فهي من عشاق الجسد لا الروح، فكظم غيظه وبكائه؛ مخافة على عينه الواحدة، حتى يستطيع أن يراها.

وله: (الكامل)

ناديت^(١) وجنته^(٢) وقد رُقت^(٣) بالمسك رقم الثوب بالقز^(٤)
يا أرفع البز^(٥) اختصت علي رغم العذول^(٦) بأرفع الطرز^(٧)

- (١) ناديت: انتدوا وتنادوا: تجالسوا، وناديتهم: جالسهم، ينظر أساس البلاغة ج٢ ص٢٦٠.
- (٢) وجنة، ج وجنات ووجنات: وهي الخد المعروف، معجم اللغة العربية المعاصرة مادة (وج ن) ج٣ ص٢٤٠٦.
- (٣) رقت: وشيت وتزينت، ينظر أساس البلاغة، ج١ ص٣٧٨.
- (٤) القز: الحرير على الحال التي يكون عليها عندما تنسجه دودة الحرير، ينظر القاموس الفقهي، د. سعدي أبو حبيب، دار الفكر دمشق، ط٢ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص٣٠٢.
- (٥) البز: الثياب، وقيل متاع البيت من الثياب خاصة، ينظر المحكم والمحيط الأعظم، ج٩ ص١٤.
- (٦) في الوافي بالوفيات ج٢٢ ص١٥١، (رغم العذو)، الطرز: الثياب الجياد الفاخرة المطرزة بالجواهر واللآلئ، يقال: هو يتطرز في اللباس، ويتطرس في المطعم، أي يتنوق، فلا يلبس إلا فاخرًا، ولا يأكل إلا طيبا، المخصص ج٤ ص٤٦.
- (٧) الوافي بالوفيات، ج٢ ص١٥١، عبر عن محبوبته التي اختصته - مع كثرة العذال - بأرفع وأجود الثياب ب(البز) من باب المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا، أو تقديرًا، مثل قوله - تعالى - {تعلم ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك}، والمراد ولا أعلم ما عندك، ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ص٣٠٩.
- والذي صوغ له التعبير عن المرأة بالبز، أن البز يطلق على المتاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة، كما أن البز لباس وكذلك المرأة لباس، {هن لباس لكم وأنتم لباس لهن} البقرة ١٨٧، والمراد من البيتين: جالست حبيبتي ذات الصدغين الجميلين اللذين وشيا وزينا بالمسك، كما زين الثوب بالحرير، وقد اختصتني محبوبتي - مع كثرة العذال واللؤام - بأرفع الثياب وأجوده، وهذا يدل على مدى هيامها، وحبها إياها، فلا تلبس الملابس الفاخرة إلا لكل عزيز غال.

وله: (البيسط)

يا من فقدت سروري بعد بعدهم قد صار بعدكم طول الأسي سكنا
إن كان يعرف إنسان بلا أجل يموت من شدة الأشواق مت أنا^(١)
ومنه (البيسط)

يا أهل بغداد زاد الشوق في أرقى وفي حنيني وفي وجدني وفي قلقي
بالهند تطبع أسياف الحديد وفي بغداد تطبع أسياف من الحدق^(٢)

الوصف: (المتقارب)

يا ذا الذي ليس له شاهد^(٣) في الحب معروف^(٤) ولا شاهدة
شواهد عيناى إني بها بكيت حتى ذهبته واحدة
وأعجب الأشياء أن التي قد بقيت في صحبتي زاهدة^(٥)

(١) يتيمة الدهر، للثعالبي ج ٥ ص ٥٨.

(٢) أي إذا كانت الهند مشتهرة بصناعة السيوف التي تخلع الرقاب، فإن بغداد مشتهرة بالعيون التي تخلع القلوب.

(٣) قد يكون المراد هنا بالشاهد (اللسان) فمن معاني كلمة (شاهد) اللسان، يقال: ما لفلان رواء ولا شاهد، أي ما له منظر ولا لسان، ينظر تاج العروس مادة (ش ه د) ج ٨ ص ٢٥٨. وقد يكون معناها الدليل والبرهان، كما يقال: الشاهد النحوي، ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة (ش ه د) ج ٢ ص ١٢٤١. وأرى أن المراد بالشاهد والشاهده هنا العين الناظرة، فهو ليس له عين ينظر بها إلى محبوبته، فله عينان، عين ذاهبة، وعين زاهدة.

(٤) نعت ل (شاهد) والأصل: ليس له شاهد معروف في الحب.

(٥) الوافي بالوفيات الصفدي، ت/ أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠ هـ /

وله في غلام جميل بفرد عين: (الوافر)

له عين أصابت كل عين وعين قد أصابتها العيون^(١)

وقال في وصف الحمى: (الوافر)

وزائرة^(٢) تزور بلا رقيب وتنزل بالفتى من غير حبه
وما أحد يحبُّ القرب منها ولا تحلو زيارتها بقلبه
تبيت بباطن الأحشاء منه فيطلب بعدها من عظم كربة
وتمنعه لذيق العيش حتى تنغصه بمأكله وشربه
أنت لزيارتي من غير وعد وكم من زائر لا مرحبا به^(٣)

(١) الوافي بالوفيات ج ٢٢ ص ١٥١، قال هذا البيت في مليح أعور، ومعنى البيت: أن هذا المليح له عين جميلة ساحرة، تفتن كل العيون، أما العين الأخرى، فقد أصابتها العيون بالحسد فذهبت، وأصبح بفرد عين.

(٢) الواو هنا واو (رب) أي رب زائرة، والجملة بعدها (تزور) في محل رفع خبر؛ لأن زائرة مبتدأ مجرور لفظاً برب المحذوفة، مرفوع محلاً، وعبر بالزائرة، ولم يعبر بالضيف، لأن الزائر في أحايين كثيرة قد يكون غير مرحب به (وكم من زائر لا مرحبا به)، أما الضيف، فيرحب به في جميع أحواله.

(٣) فوات الوفيات، ج ١ ص ١٦٢، وينظر مجاني الأدب في حقائق العرب، رزق الله شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٣م، ج ٣ ص ١٩٣. فهذه الزائرة غير مرغوب فيها، فهي تنغص لذادة العيش فلا أهلاً ولا مرحباً بها.

وقال في وصف الخطاف^(١): (المقارب)

وطير يبشرنا بالمصيف زيارته أرضنا كل حين^(٢)
يضم جناحين كالخنجرين^(٣) على ذنب يشبه البارجين^(٤)

(١) ضرب من الطيور القواطع عريض المنقار، دقيق الجناح طويله، منتفش الذيل، ج (خطاطيف) ويسمى (زوار الهند) تقطع البلاد البعيدة إلى الناس؛ رغبة في القرب منهم، والإلف بهم، وهو مع ذلك لا يبني بيته إلا في أبعد المواضع؛ حيث لا تتاله أيديهم، ومن عجيب حاله أن عينه تفلح وترجع، وهو لا يرى أبداً واقفاً على شيء يأكله، ولا يرى يسافد، ولا يجتمع بأنثاه، والأثني تبيض مرة واحدة في السنة: وقيل: مرتين، والخفاش عدو الخطاف، وهو لا يفرخ في عش عتيق حتى يطينه بطين جديد، وهو يبني عشه بالطين والتبن، فإذا لم يجد طيناً مهياً ألقى نفسه في الماء ثم تمرغ في التراب، حتى يمتليء جناحاه، ثم يجمعه بمنقاره، وهو يسوي في الطعم بين فراخه، ولا يترك في عشه زبلا، بل يلقيه خارجاً، وهو متى سمع صوت الرعد مات، وأكله يحدُّ البصر ينظر نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ط ١٤٢٣هـ، ج ١٠ ص ٢٤١، وفي حديث ابن مسعود "لأن أكون نفضت يدي من قبور بني أحب إلي من أن يقع مني بيض الخطاف فينكسر" النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢ ص ٤٩. وقيل: إن الخطاف هو الوطواط، ينظر النهاية في غريب الحديث ج ٥ ص ٢٠٥، وقيل: طائر أسود وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة، وقيل الخطاف: الغراب الجبلي، لسان العرب ج ١٠ ص ٢٧٩. ينظر محاضرات ومحاورات الشعراء، الأصفهاني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢ ص ٦٧٨.

(٢) يشير إلى أن هذا الطائر يغادر موطنه الأصلي (الهند) صيفاً ويعود إليه شتاءً، فإذا أتى أرضنا بشرنا بالصيف.

(٣) يشير إلى أن دقيق وطويل الجناحين، كالخنجرين.

(٤) يشير إلى أنه منتفش الذيل، والبارج: نسيج صوفي رقيق ينتفش، والبارجين هنا صانعوها ينظر تكملة المعاجم العربية ج ٨ ص ٢٨٢، وقد تكون البارحين بالحاء المهمة وهي طائر ضد السانح، والسانح ما أتاك عن يمينك والبارح ضده، فيتفاعل بالسانح، ويتطير بالبارح، ينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، صادر بيروت ٧ ص ٢٦٦، وينظر المحكم والمحيط الأعظم ج ٣ ص ٢٠١.

بسجح حكى هذيان الر رياض من السند^(١) يتبعه بالأنين^(٢)
ومن بديع وصفه الذي حسن من خلاله العور، وجعله نوعاً من
الجمال، ولم لا؟! فبياض عينه جزء من بياض محبوبته: (الخفيف)
لست آسى لفقد إنسان عيني^(٣) وجميع الجمال في معاضه^(٤)
وحبيبي من مقلتي أخذ الخا ل^(٥) وأعطى سوادها من بياضه^(٦)

(١) يشير إلى موطنه الأصلي والسند: ناحية بين الهند وكرمان وسجستان، ينظر آثار البلاد وأخبار العباد ص ٩٤، وقد يقصد بالسند ما ارتفع من الأرض في قبل جبل أو واد، ينظر العين ج ٧ ص ٢٢٨، ويكون المعنى: أن صوته يشبه صوت هذيان الرياض، وهذه الرياض توجد في مكان مرتفع في قبل جبل، فيجعل لصوتها صدى.

(٢) محاضرات الأدباء، ج ٢ ص ٦٧٨، يصف صوت الخطاف، بأنه يحاكي صوت الرياض، يعني ثم يتبعه بالبكاء.

(٣) إنسان العين: السواد، أو الحدقة التي يبصر بها، ينظر: تحرير ألفاظ التنبيه، محي الدين النووي، ت/ عبد الغنى الدقر، دار القلم، دمشق، ط ١٤٠٨هـ، ص ١٩٩.

(٤) المعتاض: العوض والبديل، تاج العروس، للزبيدي، ت/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج ١٨ - ص ٤٤٩.

ويقصد بالعوض هنا حبيبته التي زين الخال وجهها الأبيض الجميل، فأخذت سواد عينه تجعله شامة وخالا لوجهها، وأخذت عينه البياض من وجهها؛ فهو ليس حزينا، ولا أسفاً لذهاب سواد عينه، فأعطاه لحبيبته تجعله خالا، واعتاض عنه ببياضها، فما أحسنه من عوض، وبديل ففي وجهها جزء منه، وفي عينه جزء منها.

(٥) الخال: بثرة في الوجه تضرب إلى السواد، وجمعه: خيلان، ينظر كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ج ٤ ص ٣٠٤.

(٦) خريدة القصر وجريدة العصر، ج ١ ص ٥٨.

الهجاء:

هجا أبا الفتوح الواعظ^(١) وكان في شبابه، ولم يكن في زمانه أحسن
منه صورة، وأجمل منظرًا^(٢) (السريع)

وواعظٍ تيمناً^(٣) وعظه
فعرّفه شيباً بإتكار
ينهى عن الذنب وأحاطه^(٤)
تأمر في الذنب بإصرار
وما رأينا قبله واعظاً
مكسب آثام وأوزار
لسانه يدعو إلى جنّة
ووجهه يدعو إلى النار^(٥)

(١) أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، أخو الإمام الغزالي، الفقيه الشافعي، كان واعظاً مليح الوعظ، حسن المنظر، كان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ، فغلب عليه، كما كان شاعراً جيد الشعر، ومن شعره:

أتاني الحبيب بلا موعـدٍ فأخلق خلق الوري بالكرم
أعاد الوصال وعاد الفراق فحق التلاق وزال التهم

— توفي ٥٢٠ هـ وعمره فوق الثمانين، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ٨ ص ١٧٦، وطبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح، ت/ محي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١ ١٩٩٢م، ج ١ ص ٥٧.

(٢) أراد أن يبين أثر وعظه، وصورته الحسنة على النفوس، متكناً على التقابل، فإن كان وعظه يأمر بالمعروف، فإن وجهه يدعو إلى المنكر، وإن كان وعظه، ينهي عن الذنب، منظره الجميل يدعو إليه بإصرار، فيكسب من يستمعه آثاماً، لأن من يستمعه ينظر إلى وجهه، فيتشاهه، ولا يلقي بالا لما يقول، فكلامه يدعو إلى الجنّة، ووجهه يدعو إلى النار.

(٣) استعبدنا وأذهب عقولنا، ينظر مادة (ت ي م) أساس البلاغة، ج ١ ص ١٠٠.

(٤) أحاطه: عيونه، يقال: فتنته بلحاظها، وأحاطها، مفرده اللحظ، ويجمع على اللُّحظ، تاج العروس ج ٢٠ ص ٢٧٠.

(٥) الوافي بالوفيات ج ٨ ص ٢٥٠، هذا الواعظ الذي تيمنا وعظه، معروفة خلط بمنكره، فإن كان كلامه يدعو إلى المعروف، وينهي عن المنكر، فإن جماله يدعو إلى المنكر، فهو واعظ فريد في وعظه؛ لأن وعظه مكسب الآثام، فكلامه يأمر بالمعروف، ويدعو إلى الجنّة، ولكن وجهه الحسن يدعو الرذيلة وإلى النار، يشير إلى أن وجهه قد يغري باللواط، يقصد أن وجهه الحسن، تجعل النفوس المريضة تهفو إليه، مع أنه واعظ يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر.

الرثاء:

رثا أبا الحارث البساسيري^(١) : (الكامل)

أقسمت بعدك لا أقول مديحا^(٢) حتى أصابح في التراب صفيحا^(٣)

(١) أرسلان بن عبد الله، أبو الحارث البساسيري نسبة إلى (بسا)، وهي بالعربية (فسا) بلدة ببلاذ فارس، كان مملوك بهاء الدولة بن عضد الدولة، صاحب الفتنة الكبرى ببغداد، قائد ثائر تركي الأصل، وكان من مماليك بني بويه، وخدم القائم العباسي، فقَدَّمه على جميع الأتراك في بغداد، وقَدَّ الأمور بأسرها، وخطب له على منابر العراق، وخوزستان؛ فعظم أمره، وهابته الملوك، وتلقَّب بالمظفر، ثمَّ خرج على القائم، وأخرجه من بغداد، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر ٤٥٠هـ، وأخذ له بيعة القضاة والأشراف ببغداد قسرًا، ولم يثق به المستنصر؛ فأهمل أمره، فتغلب عليه أعوان القائم من عسكر السلطان طغرل بك السلجوقي، فقتلوه ٤١٥هـ، ١٠٦٠م وصلب وظيف برأسه ببغداد، وكانت ببغداد محلة كبيرة تنسب إليه، ينظر الأعلام للزركلي، ج١ص٢٨٧، رثاه (أسبه دوست) وحزن عليه حزنا شديدا مع أنه لا يستحق هذا الحزن، أو التأبين، وأرى أن تشييعه كان من وراء هذا التأبين، حيث حاول القضاء على مذهب أهل السنة ببغداد، وفرض المذهب الشيعي قسرًا، ودعا للمستنصر الفاطمي صاحب مصر.

(٢) نلاحظ أنه غير في العروض فأنت مقطوعة، - مع أن عروض الكامل لا تأتي مقطوعة - حتى تلتحق بالضرب، وهذا ما يسمَّى بالتصريع وهو (إيراد العروض على حكم الضرب بمخالفتها لما تستحقه بزيادة أو نقصان)، ينظر أهدى سبيل إلى علمي الخليل، د. محمود مصطفى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ص٨٣.

(٣) الأليق بالجو العام للأبيات أن يقول: (سفيحًا) وتكون منصوبة على المفعولية؛ لأن مادة (س ف ح) تدور حول معاني: القتل وإرافة الدماء، رجل سفاح، أي سفك الدماء، والسفح للدم، ينظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج١ص٢٧٨، وتكون (سفيح هنا بمعنى مسفوح) فاعيل بمعنى المفعول أي مسفوح دمه، فهو أقسم ألا يقول مديحًا، حتى يصير مثله، ويصباح هذا الذي أصبح دمه مسفوحًا في التراب؛ ولا غرو فهو لم يصاحب بعده إلا الحزن والأسى والتبريحًا، أمَّا صفيح فلا تلام الجو العام للأبيات، لأن مادة (س ف ح) تدور حول عدة معاني ليس منها القتل أو الموت، فمن معانيها: الجانب، صفحتي وجهه أي جانبي وجهه، وصفح السيف عرضه وجانبه، ومنه: العفو والإعراض عن الذنب، صفحت عنه، أي عفوت عنه {فاصفح الصفح الجميل} الحجر ٨٥، وصفحة الرجل: عرض صدره، وصفح القوم: عرضتهم واحدًا واحدًا وغير ذلك من المعاني، ينظر المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ت/ عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- كلا ولا صاحبت غيرك صاحباً
الصبر يحسن عند كل مصيبة
لهفى^(٤) على دمك العزيز وقد غدا
إن كنت لم تسكن ضريحاً^(٦) فالحشا^(٧)
إلا الأسى والحزن والتبريحاً^(١)
وأراه بعدك يا أجل^(٢) مديحاً^(٣)
فوق التراب مضيّعاً مسفوحاً^(٥)
مني لذكرك لا يزال ضريحاً^(٨)

- (١) التبريح: المشقة والشدة، ينظر النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ت/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج ١ ص ١١٣.
(٢) يمكن أن تكون مبنية على الضم؛ فهي نكرة مقصودة، ويمكن أن تكون معربة على الإضافة، أي يا أجل الناس.
(٣) فمن يتجرّع مرارة الصبر على رحيلك فكأنه يمدحك، لأننا لا نصبر إلا على كل من يستحق أن نحتمل في سبيل فراقه مرارة الصبر.
(٤) حزني وحسرتي، ينظر أساس البلاغة ج ٢ ص ١٨٢.
(٥) يشير إلى صلبه، وقطع رأسه، والطواف بها في بغداد، حتى سال دمه المسفوح على ترابها.
(٦) الضريح: القبر، ينظر المحكم والمحيط الأعظم ج ٣ ص ١٢٦. وجملة (فالحشا مني لذكرك لا يزال ضريحاً) في محل جزم جواب الشرط، واقترن جواب الشرط بالفاء، لأنها جملة إسمية.
(٧) كل ما بداخل البطن حشاً، وهو ما دون الحجاب مما يلي البطن كله من الكبد والطحال والكرش، أو هو ما انضمت عليه الضلوع والخواصر، أو ما بين آخر الأضلاع إلى السورك والجمع أحشاء، يتنظر تهذيب اللغة للأزهري، ت/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٥ ص ٩٠، والمراد بالحشا هنا القلب.
(٨) قد يقصد بالضريح هنا الحزين البعيد عما يسعده الذي به وحشة، ينظر مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي، ت/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية بيروت صيدا ط ٥ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، فحشاه وقلبه بعيد عما يسعده، وقد يقصد أن قلبه سكن له، فهو يسكن أحشاه، لا يبرحه، يقول أبو ذؤيب الهذلي:

عصاني الفؤاد فأسلمته ولم أك ممّاً عناه ضريحاً

ولقد علمنا إذ طرحت على الثرى^(١) أن الندى^(٢) أمسى هناك طريحا^(٣)
العودة والتوبة: (الكامل):

كالحليل يجلوه ضياء نهار
ورأت سبيل الرشد عيني بعدما
غطى عليها الجهل بالأستار
لا بد فاعلم للفتى من توبة
قبل الرحيل إلى ديار بوار^(٥)
يمحو بها ما قد مضى من ذنبه
وينال عفو إلهه الغفار
من زلتي يا عالم الأسرار
يا رب إني قد أتيتك تائبًا
وأئمة^(٦) مثل النجوم دراري^(٧)
وعلمت أنهم هداة قادة

(١) الثرى: التراب الندي، ينظر اللطائف، أحمد بن مصطفى اللبابيدي دمشقي، دار الفضيحة القاهرة ص ٢٨٤.

(٢) الندى: السخاء، والكرم، ينظر الصحاح للجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط ٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ج ٦ ص ٢٥٠٥، أي مات الكرم والسخاء بموته، ولا يخلو البيت من مبالغة، حيث جعله ندى، فكأنه أصله، ويمكن أن يكون الكلام مبنياً على حذف مضاف تقديره (أن ذا الندى)

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم، ت/ د. سهيل زكار، دار الفكر، ج ٣ ص ١٣٥٧.

(٤) تلحظ التصريح؛ حيث إنه غير في العروض؛ ليلتحق بالضرب، فأنت مقطوعة، كما نلحظ حذف مفعول (جلا) للحفاظ على وزن البيت، والتقدير جلا الغشاوة أو الضلال عن الأبصار.

(٥) أي خراب، وخسران، ويقصد بها جهنم.

(٦) مخالفة صرفية؛ حيث اجتمعت همزتان في أول الكلمة الأولى متحركة بالفتح، والثانية متحركة بالكسر، فيجب قلب الهمزة الثانية ياء، فالقياس أئمة، وردت كلمة أئمة في قوله- تعالى- {فقاتلوا أئمة الكفر} التوبة ١٢، قرأها ابن كثير، وأبو عمرو ويعقوب (أئمة) وقرأها ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي (أئمة)، وفرق الزجاج بين النحاة والقرءاء في هذه الكلمة فقال: قوله تعالى: {أئمة الكفر} فيها عند النحويين لغة واحدة (أئمة) بهمزة وياء، والقرءاء يقرأون (أئمة) بهمزتين و (أئمة) بهمزة وياء، فأما النحويون، فلا يجوز عندهم اجتماع الهمزتين في هذه الكلمة فالقياس عندهم (أئمة) ينظر إيجاز التعريف في علم التصريف، لابن مالك، ت/ محمد المهدي- عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ص ١١٨.

(٧) دراري: مفردة الدر، وهي عظام اللؤلؤ، والواحدة درة، وكوكب دري، أي ثاقب مضىء، تهذيب اللغة ج ٤ ص ٤٤٤.

وعدلت^(١) عما كنت معتقداً له
والسيد الصديق والعدل الرضي
وعليّ الطهر المفضل بعدهم
صبح النبيّ الغرّ بل^(٢) خلفاؤه
رحماء بينهم بذاك صفاتهم
وتراهم من^(٤) راعين وسجّد
أيقنت حقاً^(٦) أن من^(٧) والاهم
في الصبح صحب نبيه المختار
عمر وعثمان شهيد الدار
سيف الإله وقاتل الفجار
فيينا بأمر الواحد القهار
وردت أشداء على الكفار^(٣)
يستغفرون الله بالأسحار^(٥)
سيفوز بالحسنى بدار قرار

(١) اعتراف صريح منه بتركه ونزوعه عما كان يعتقد في الصحابة رسول الله - رضوان الله عليهم أجمعين -

(٢) بل هنا بمعنى الواو، وليست للإضراب.

(٣) اقتبس معنى البيت من قوله - تعالى -: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} الفتح ٢٩.

(٤) من هنا حرف جر زائد، مع أنها لم تسبق بنفي، ولا يشترط الأخفش والكوفيون النفي قبلها، كقوله تعالى: {يغفر لكم من ذنوبكم} ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ت/ الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ج ٣ ص ٢٢.

(٥) اقتبس معنى الشطر الأول من البيت - أيضاً - من قوله - تعالى -: {تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا} الفتح ٢٩. ومعنى الشطر الثاني من البيت من قوله تعالى {وبالأسحار هم يستغفرون} الذاريات ١٨.

(٦) حقاً: منصوبة على المصدرية، مؤكدة لعاملها، فهي مفعول مطلق لفعل محذوف وجوبا تقديره (أحقه حقاً).

(٧) من هنا: موصولية في محل نصب اسم إن، وجملة والاهم صلة موصول لا محل لها من الإعراب، وجملة سيفوز بالحسنى في محل رفع خبر إن وليست شرطية، لأنها لو شرطية، لقال في جوابها فسيفوز بالحسنى.

فعدلت نحوه مقرا بالولا^(١) ومخالفاً للعصبة الأشرار
مترجياً عفو الله ومحوه ما قدمته يدي من الأوزار
وإذا سئلت عن اعتقادي قلت ما كانت عليه مذاهب الأبرار
وأقول خير الناس بعد محمد صديقه وأنيسه في الغار^(٢)
ثم الثلاثة^(٣) بعده خير الوري أكرم بهم من سادة أطهار
هذا اعتقادي والذي أرجو به فوزي وعتقي من عذاب النار^(٤)

-
- (١) أصلها الولاء، فقصر الممدود، ينظر شرح الكافية، لابن مالك، ت/ عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة ط١، ج٤ ص١٧٦٨
- (٢) كناية عن سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- (٣) الثلاثة: سيدنا عمر بن الخطاب ، وسيدنا علي بن أبي طالب، وسيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنهم أجمعين -
- (٤) تاريخ الإسلام، ج ٢١ ص ٢٨١، ففي الأبيات ترك للرافضة، وإعلان بموقفه من الصحابة - رضي الله عنهم - وإيمانه بأنهم خير خلق الله بعد رسوله - صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد أن لاح الهدى، وجلا الضلالة عن الأبصار.

الدراسة الفنية

اللفظ والأسلوب:

ألفاظ الشاعر لا تحتاج إلى مثل هذا العناية في البحث عن معناها، كما أنها خفيفة الوقع على السمع، وبعيدة عن الابتذال والسوقية، تخلو من العيوب، والمخالفات النحوية إلا صرفه الممنوع من الصرف في مقطوعته (قلبي الفدا) حيث نون (بدائعا)؛ حفاظاً على الوزن الشعري، والألفاظ أداة من الأدوات التي عبر بها عن المعنى الذي يجول بخاطره، كما كانت وسيلة عبر بها عن عاطفته؛ فأتت ألفاظه ملونة بمعاني الندم والحسرة في (توبته)، (الرحيل، بوار، تائباً، زلتني، الأشرار، عذاب، النار)، ووفق في التعبير عن توبته ب (عدلت)، فكأنه كان مائلاً، فاستقام، وفي (رثائه): اتكأ على طاقات اللفظة الإيحائية التي أبرز من خلالها حزنه وأساه على مرثيه، فأتت ألفاظه مصطبغة بلون الحزن والأسى (بعذك، الحزن، الأسى، التبريحاً، الصبر، لهفي، مصيبة، دمك، مسفوحاً، مضيعة) فهو يؤمن بما وراء الألفاظ من دلالات، وفي (مجونه) نقرأ من خلال ألفاظه، مدى فحشه ومجونه، وبعده عن المنهج القويم (اسقتني، فضح، لسعة، يطير، الزنبور، خمر، سقاني، الراح، فراش)، وفي (غزله) نلمح من دلالات ألفاظه مدى الهيام والشوق والحنين الذي ملك عليه وجدانه (قلبي، الفدا، أسيراً، فقدت، الأسى، حنيني، قلقي، وجدي، مت، الشوق، أرقى، بين، هجر) كل هذا الشوق كان من ورائه شدة جمالها الفاتن الذي وصفته دلالات ألفاظه (قمر، خده، بدائعا، حسنه، حمرة، وجنته، المسك، الحرق، أسياف، جناه، طيب، أذ) فهو عاشق الجسد، لا الروح، وفي وصفه الخطاف، نجحت دلالات ألفاظه في رسم صورة هذا

الطائر، وهينته وصوته (جناحين، خنجرين، ذنب، يشبه، البارجين، سجع، يحكي، هذيان)، وفي وصف عوره، حسن القبيح، وحبب المستكره، بتحسينه العور من خلال دلالات ألفاظه وإيحائها (الجمال، معراضه، حبيبي، مقلتي، الخال، سوادها، بياضه، أصابتها، العيون)، وفي وصفه الحمى التي انتابته، وظف دلالات ألفاظه للتعبير عن مدى ضيقه وتبرمه من هذا الضيف الثقيل (تنزل، من غير حبه، لا تحلو، زيارتها، تبيت، تمنعه، تنغصه، لا مرحبا به).

شاع الأسلوب الخبري في شعر الشاعر، ففي رثائه (أقسمت بعدك) وفي وصفه (وطير يبشرنا) (وزائرة تزور) (له عين أصابت) (لست آسي)، وفي غزله (صدودك عني) وفي مجونه (يخلو فراش خلتي) (سقاني شمول الراح) (ما ليلة بت فيها) وفي هجائه (وواعظ تيمنا وعظه) تخلو تماما من الأساليب الإنشائية؛ ولا غرو، فكلها مقطوعات قائمة على الوصف، والأسلوب الخبري أنسب الأساليب للوصف، وكذلك في عودته وتوبته (لاح الهدى) شاعت الأساليب الخبرية فلم يرد في القصيدة- على طولها- إلا أسلوب إنشائي واحد وهو النداء بقصد الدعاء والخضوع لله الواحد القهار (يا عالم الأسرار)، نجد أيضاً شيوع الأسلوب الخبري في (يا ذا الذ ليس له شاهد) (يا أهل بغداد) (يا من فقدت سروري) لم يرد فيها إلا النداء في صدر المقطوعات بقصد التنبيه، أما في دعوته إلى الترغيب عن الزواج (يا طالب التزويج)، فغلب عليه الأسلوب الإنشائي، وهو الملائم للدعوة إلى الشيء، أو التنفير منه، فهو يدعو إلى ترك الزواج، والاستعاضة عنه بالزنا فتنوعت أساليبه الإنشائية ما بين نداء بقصد التنبيه (يا طالب التزويج، والاستفهام (هل أبصرت عيناك) (أوما تراه حين يدرك فرصة) بقصد التقرير، والحث على ترك الزواج، والنهي (لا تبغ في الدنيا نكاحًا لازما)

بقصد النصح، والأمر (وافعل بها ما يفعل الزنبور) بقصد النصح والإرشاد، بأن يكون كالزنبور، أما في دعوته إلى الشراب في مقطوعته (غني يا أعز ذا الخلق) نوع بين الأسلوبين: الخبري والإنشائي، فوظف الأسلوب الإنشائي عند دعوته إلى الشراب، وخاصة الأمر (غني، اسقني، حي، اغتم) أما عند وصفه الجو العام الذي يساعد على الشراب فاعتمد على الأسلوب الخبري، فنخلص مما سبق أن الأسلوب الخبري هو الشائع عند الشاعر؛ لغلبة الوصف على شعره، ومن الظواهر الأسلوبية في شعر الشاعر أسلوب القصر، وخاصة القصر بطريق التقديم؛ رامياً من ورائه التخصيص والتوكيد والتشويق، كتقديم شبه الجملة على عاملها (في زمان الشباب قابلي الشيب) (وفي بغداد تطبع أسياف من الحدق) وتقديم شبه الجملة على المفعول (جمعت بالوصل شملي) (تري في ابيضاض الكأس حمرة خده)، وتقديم شبه الجملة على الفاعل (بليلة فطر قام فيه طوائف) (غطى عليها الجهل) وتقديم المفعول به على الفاعل (سقاني شمول الراح ساق)، (فقد فضح الليل هلال)، وتقديم شبه الجملة على جواب القسم (أقسمت بعدك لا أقول مديحا)، وتقديم خبر الناسخ على اسمه (ليس في الناس خلق)، (كأن بخده زهر الربيع وعارضيه) وتقديم شبه الجملة على الحال (وقد غدا فوق التراب مضيعا مسفوحا)، وتقديم شبه الجملة على اسم الناسخ (قد صار بعدكم طول الأسي سكنا)، وتقديم شبه الجملة على خبر الناسخ (أن الندى أمسى هناك طريحا)، (إنك بالذي تبغيه منه جاهل معذور)، وتقديم المفعول لأجله الذي جاء مجروراً باللام على جملة الناسخ (فالحشا مني لذكرك لا يزال ضريحا) والأصل لا يزال ضريحاً لذكرك، وتقديم شبه الجملة على معمول الفعل (اختصت عليّ رغم العذول بأرفع الطرز)، ومن طرق



القصر في شعر الشاعر طريقة النفي أو شبه النفي والاستثناء، ولم ترد إلا مرتين، واحدة في رثائه: (ولا صاحبت... إلا الأسي والحزن) ومرة في دعوته إلى الترغيب عن الزواج (هل أبصرت عيناك صاحب زوجة إلا حزيناً ما لديه سرور).

المعاني والأفكار:

معاني الشاعر تتسم بالوضوح، وإن أخطأ الشاعر في بعض معانيه التي تتعارض مع واقع الحياة، ومن هذه الأخطاء حكومته على أي صاحب زوجة في مقطوعته (يا طالب التزويج) أنه حزين ما لديه سرور، وهذا يتعارض تماماً مع واقع الحياة، فالكثير من الأزواج يعيشون في هناة وسرور، كما أن هذا الحكم يتعارض مع مقياس الدين والخلق، ومن الأخطاء- أيضاً- التي تتعارض مع الدين والخلق وواقع الحياة حكومته: أن شرب الخمر يصير البخيل كريماً، والجبان شجاعاً، وشرب الخمر على العكس من ذلك؛ إذ تقتل المروءة، ابتكر الشاعر بعض المعاني التي لم يسبق إليها، وإن كانت تتعارض مع الخلق والدين كما في هذا البيت:

لكنت ليلة قـدر أجلّ من ألف شهر

فهذا التشبيه طريف مبتكر من الشاعر، حيث شبه ليلة يقضيها مع محبوبته، التي - في نظره- أجلّ من ألف شهر مع غيرها، بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ومن معانيه الطريفة المستجادة التي لم يسبق إليها:

لست آسي لفقد إنسان عيني وجميع الجمال في معنائه

وحبيبي من مقلتي أخذ الخا ل وأعطى سوادها من بياضه



فحسن ببلاغته القبيح فبياض عينه جزء من بياضها، والخال الذي
يزين وجهها، هو سواد عينه، ففي عملية تبادلية، أخذت عينه بياض
وجهها، وأخذت هي سواد عينه شامة تزين بها وجهها.

هناك كثير من معاني الشاعر سبقه غيره من الشعراء إليها، من هذه
المعاني قوله:

واسقني ما يصير ذو البخل منه حاتما والجبان عمراً بن معدي
سبقه إلى هذا المعنى أبو عثمان الخالدي^(١)

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها قهوة تترك الحليم سفيها^(٢)
وإن كان بيت الخالدي أصدق، وأكثر مطابقة للواقع من بيت
أسبهدوست، فالخمر تجعل الحليم سفيها، ولا تجعل الجبان شجاعاً، ولا
البخيل جواداً، وتأثر به القاضي عياض^(٣) في قوله:

لا تكثرث لخطوب دهرٍ واسقني كأساً تحسن منه كل قبيح^(٤)
فاتفق معه في المعنى نفسه بأن الخمر تحسن كل قبيح، وفي وصفه
الخطاف سبقه أبو إسحاق الصابي^(٥)، في تحديد موعد هجرة هذا الطائر من
بلادته الأصلية (الهند) وهو الصيف يقول:

(١) سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام من بني عبد القيس، شاعر أديب، توفي ٣٧١ هـ، ينظر
الأعلام ج٣ ص١٠٣.

(٢) ينظر أحسن ما سمعت، للثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

(٣) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب،
وإمام أهل الحديث، في وقته ولد ٤٧٦ هـ/ توفي ٥٤٤ هـ، ينظر الأعلام ج٥ ص٩٩.

(٤) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، التلمساني، ت/ مصطفى السقا، ١٣٥٨ هـ/
١٩٣٩ م، ج٢ ص٣٥٨.

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، أحد كتّاب الدواوين في القرن الرابع الهجري، صابئ
النحلة، تولى ديوان الرسائل للخليفة المطيع لله العباسي ولد ٣١٣ هـ توفي ٣٨٤ هـ ينظر
الأعلام ج١ ص٧٨.

وطير يبشرنا بالمصيف زيارته أرضنا كل حين

ويقول أبو إسحاق الصابي:

تصيف لدينا ثم تشتو بأرضها ففي كل عام نلتقي ثم نفترق^(١)

وإن كان بيت أسبهدوست أبلغ وأجمل من بيت أبي إسحاق؛ حيث إن بيت أبي إسحاق بيت تقرير إخباري، فهي تصيف ببلادنا وتشتو بأرضها، ففي كل عام نلتقي صيفا، ونفترق شتاءً، فهو بيت يخلو من بعض مقومات الشعر الجيد، فيخلو مثلا من الصورة التي تكسب المعنى وضوحا وجمالا، أما أسبهدوست، فشخص هذا الطير بإنسان يبشر بقدوم المصيف، عن طريق الاستعارة المكنية، فأعطى لبيته ثقلا وجمالا.

وسبقه أيضاً في وصف الخفاف المتنبئ:

تقسّم زوار من الهند سقفا خفاف على قلب النديم شفاق

أعاجم تلتذُّ الخصام كأنها كواعب زنج راعهن طلاق

أنس بنا أنس الإماء تحببت وشيمتها غدر بنا وإباق^(٢)

وللمتنبئ الفضل في تأكيد فكرته بأكثر من صورة، فأحسن التعليل لزيارتها صيفا، وهجرها أرضنا شتاء بأنها تتخلق بخلق الإماء تأنس بنا، ولكن شيمتها غدر وإباق، ووصفها وانفرد في وصفها بأنها (خفاف، شفاق، أعاجم، تختصم فيما بينها كالزنوج الحسان التي أفرعها طلاقها فهي تنذب وتولول فيما بينها، كما أن المتنبئ بين موقفه من هذا الطائر، بأنه أنس

(١) ينظر نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١٠ ص ٢٤١.

(٢) ينظر ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، دار الجيل بيروت، ج ١ ص ٣٢٢.

بها، وأنست هي به، وشبهه إنسها به بأنس الإمام عن طريق التشبيه البليغ (أنسن بنا أنس الإمام)، أما أسبهدوست، فلم يشر إلى ذلك، ولكنه اعتمد على الوصف الحسي فوصف جناحيها، وذنبها، وصوتها معتمداً على التشبيه، ولأسبهدوست الفضل في تشبيه صوتها، حيث شبهه بهذيان الرياض، أما المتنبى، فشبهه بصوت الزنجية التي راعها طلاقها، فلا تملك إلا الندب والولولة فيما بينها.

وفي وصف صوت الخطاف:

رياض من السند يتبعه بالآئين

بسجع حكى هذيان الر

سبقة أبو نواس بقوله:

صوت الجلام إذا ما قصت الشعرا^(١)

كأن أصواتها في الجو طائرة

وأبو إسحاق الصابي من الطويل:

إذا صرصرت صررت بآخر صوتها كما صرّ ملوي العود بالوتر الحزق^(٢)

وأرى أن بيت أسبهدوست أجمل وأليق بمقام وصف صوت هذا الطائر من أبي نواس؛ حيث إنه شبهه بصوت من أصوات الطبيعة المأنوس إلى النفس، والمألوف إليها، وهو هذيان الرياض وأنينه، أما أبو نواس فشبهه بصوت قد تنفر منه النفوس، وهو صوت المقص وهو يقصُّ الشعر، وأبو إسحاق الصابي، فشبهه بصوت مألوف وهو صوت العود الذي ضغطت وشدت أوتاره، وصوت الطبيعة أكثر جمالا من صوت العود، وفي قوله:

(١) ينظر محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٦٧٨.

(٢) ينظر نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١٠ ص ٢٤١.

واغتتم شربها فقد فضح الليـ
ل هلال كأنه فتر زند

نلمح هذا التشبيه في قول ظافر الحداد^(١).

وبدا الهلال لليلتين كأنه
فتر حوى تفاحة من عنبر^(٢)

وتشبيه الحداد أقوى وأبلغ؛ لما فيه من إيغال^(٣)، فلم يرض أن يشبهه
بأي فتر، حتى جعله يحوي تفاحة من عنبر، وقوله:

زعرته الصبّا فكان كوجه
ساتر حسنه بفاحم جعد

يشبه قول الشاعر (الرجز)

قد تيمنتي طفلة أملود
بفاحم زيئه التجعيد^(٤)

واتفق الشاعران على أن الشعر الأسود المجعد، يزين صاحبه، خاصة
وإن كان أبيض الوجه، عبّر أسبه دوست ب (حسنه) والراجز ب (زينه)
وأرى أن التعبير بحسن أقوى دلالة من زين، فالزينة قد تكون شيئاً دخيلاً
على صاحبه، وقد يستغنى عنها، وقوله:

بليلة فطر قام فيه طوائف
فصلوا وقمنا جهرة بخلافها

(١) ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي، أبو نصر الحداد، من أهل الأسكندرية، له ديوان شعر
مطبوع، توفي ٥٢٩هـ، الأعلام للزركلي، ج ٣ ص ٢٣.

(٢) ينظر غرائب التنبيهات ص ١٢.

(٣) الإيغال: هو الإتيان في مقطع البيت أو عجزه، بنعت لما قبله، مفيد للتأكيد والزيادة فيه،
الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، المكتبة العنصرية ببيروت،
ط ١٤٢٣هـ ج ٣ ص ٧١.

(٤) لم أقف على قائله، فهو لم ينسب في مصادره كالعين ج ١ ص ٢١٨، وتهذيب اللغة،
للأزهري، ت/ محمد عوض، دار إحياء التراث، بيروت ط ١ ٢٠٠١م ج ١ ص ٢٢٥، ولسان
العرب ج ٣ ص ١٢٢، والطفلة هنا بفتح الطاء: المرأة الرخصة الناعمة، تصحيح لسان
العرب، أحمد تيمور، دار الأفاق العربية القاهرة، ط ١ ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

تأثر في هذا البيت بقول ابن المعتز^(١)

أهلاً بفطر قد أنار هلاله الآن فاغد على الشراب وبكر^(٢)

وبيت أسبه دوست به مجاهرة باللهو والمجون، كما أن به ما يشير إلى أنه خالف أهل الصلاح، فأهل الصلاح يقيمون إلى صلاتهم في تلك الليلة، أما نحن فقمنا جهرة بخلافهم، ولم يحدد نوع المخالفة التي قد تشمل (الفحش والشراب) أما ابن المعتز، فقصر ليلته على الشراب فقط من غدوه إلى بكوره، كما أنه لم يجاهر بها، وقوله:

بالهند تطبع أسياف الحديد وفي بغداد تطبع أسياف من الحدق
يشبه شعر الحمدان بن سمورة الدارمي الكرمانى وهو يمدح
الصفار^(٣):

(١) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي الشاعر المبدع، ولد في بغداد، ٢٤٧هـ وأولع بالأدب فكان يقصد فصحاء الأعراب، ويأخذ عنهم، وصنف كتباً منها (البدیع، الزهر والرياض، والجوارح والصيد، والآداب) توفي ٢٩٦هـ، ينظر الأعلام ج ٤ ص ١١٨.

(٢) خاص الخاص للثعالبي، ت/ حسين الأمين، مكتبة الحياة بيروت ص ١٣١.

(٣) يعقوب بن الليث أبو يوسف من أبطال العالم، أحد الأمراء الدهاة الكبار، كان في صغره يعمل في الصفر (النحاس) في خراسان، ويظهر الزهد، ثم تطوَّع في قتال الشراة، فأنضوى إليه جمع فظفر في معركة معهم، واشتدت شوكته، فغلب على سجستان سنة ٢٤٧هـ، ثم امتلك هراة وغيرها، واعترضه الترك، فقتل ملوكهم، وشنت جموعهم، فهابه أمير خراسان، وغيره من أمراء الأطراف، ثم امتلك كرمان، وشيراز، واستولى على فارس فجبي خراجها، ورحل عنها إلى سجستان قاعدة ملكه، كتب إلى الخليفة ببغداد المعتز بالله يعرض، ويقدم له هدايا من نفائس غنمها بفارس، وفي سنة ٢٥٩هـ انتحل لنفسه عذرا في اقتحام نيسابور، فدخلها عنوة، وقبض على أميرها محمد بن طاهر آخر الأمراء من هذه الأسرة، وتم له ملك خراسان وفارس فطمع ببغداد، فزحف إليها بجيشه، وكان الخليفة فيها المعتمد على الله، فخرج جيش المعتمد، ونشبت بينهما حرب طاحنة، ولم يظفر الصفار، فعاد إلى واسط ينظر في شؤون إمارته الواسعة، توفي بجنديسابور من بلاد خوزستان، ٢٦٥هـ، وكان يلقب بالسندان؛ لثباته، تنظر ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ٢٠٨).

طبعهما من مقل العين

جردت لي يا نصر سيفين

قط ولو كان بروحين

سيفين ما فاتهما فائت

عليه من حبك قيدين^(١)

فاعطف على قلب أسير ترى

وللكرمانى الفضل في بيان أثر تلك هاتين العينين على العشاق، فهما سيفان لا ينجو منهما أحد، ولو كان بروحين، كما أن هذين العينين سحرته فقيدته كما قيده قلبه، أما أسبهدوست فأشار إلى أن بغداد مصنع العيون الجميلة، ولم يشر من قريب أو من بعيد إلى أثر تلك العيون، وقوله:

وعين قد أصابتها العيون

له عين أصابت كل عين

يشبه قول صلاح الدين الصفدي:

ردت الأحرور أعور^(٢)

يا لها من عين حسود

وفي وصفه الحمى تأثر بالمتنبي في وصفه حمى أصابته بمصر، وكانت تغشاه إذا أتى الليل، فقال في وصف حاله عندما تصيبه، وذلك في ذي الحجة سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م (الوافر):

فليس تزور إلا في المنام

وزائرتي كأن بها حياء

فعافتها وباتت في عظامي

بذلت لها المطارف والحشايا

فتوسعه بأنواع السقام

يضيق الجلد عن نفسي وعنهما

كأنا عاكفان على حرام

إذا ما فارقته غسلتني

(١) ينظر المجموع اللفيف ص ٣٢٢.

(٢) ينظر الشعور بالعمور ص ١٠٨.

كأنَّ الصبح يطردها فتجري مدامعها بأربعة سجام

وتصدق بعدها والصدق شر إذا ألقاك في الكرب العظام

فإن أمرض فما مرض اصطباري وإن أحمم فما حم اعتزامي^(١)

وللمتنبي الفضل في بيان موقفه منها، وهو عدم جزعه، وقوة جلده وتحمله، فإن مرض جسمه، فما مرض صبره، وإن حم جسمه، فما حمت عزيمته، أما أسبه دوست، فملكه اليأس والاستسلام (تبيت بباطن الأحشاء، تنغصه في مأكله وشربه، عظم كربيه، تمنعه لذيذ عيشه)، كما أن المتنبي أحسن التعليل في مجيئها ليلاً، وذلك لأن بها حياء يمنعها من أن تأتي نهاراً، حتى لا يراها أحد، وحمى أسبه دوست تبيت بباطن أحشائه، أما زائرة المتنبي فعافت الأحشاء، وأبت إلا البيات في عظامه، ولا يخفى أثر بياته في عظامه، فهي تهدُّ جسده، فلا يستطيع الوقوف، كما أن المتنبي أحسن التعليل في اغتساله بعد مغادرتها، فكأنها التقياء لقاء جنسياً حراماً.

الصور والأخيلة:

اتكأ الشاعر على الكثير من الصورة الجزئية من تشبيهه، واستعارة، ومجاز مرسل، وكناية في التعبير عن عاطفته والإبانة عن غرضه ومقصده، ففي مجونه، أكد شدة لهوه ومجونه بالكناية - موظفاً دلالة اسم التفضيل - عن ساقية الخمر بأنها (أعز ذا الخلق عندي)، وعندما أراد وصف ليلة الشراب بالهدوء الذي يبعث الراحة في الصدور، ويساعد على التمتع بالشراب، أتت صورته موحية بهذا الفتور والهدوء في تلك الليلة، فأتى

(١) ديوان المتنبي، دار بيروت بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ٤٨٤.

التشبيه الذي يوحى بالجو الفاتر الناعس (الهلال كأنه فتر زند - الثريا كأنها رأس فهد) والتشبيه الذي يوحى بالطبيعة الساحرة التي تبعث النشوة في قلوب هؤلاء الشاربين ف (الغدير كأنما فيه مرآة تجلت عن جوهرى الفردن - طينه عنبر - حصاؤه در - ماؤه ماء ورد)، وليؤكد جمال هذا الغدير، شبهه في قوله (زعزعت الصبا فكان كوجه سائر حسنه...) بامرأة حسناء منتقبة بغطاء أسود، أو بامرأة شعرها أسود مجعد؛ ولكي يعطي مبررا لهذا الشراب، وظف الكناية، في بيتين متتاليين (ليس في الناس يا فتى الناس...) فيجب أن نشرب ونتمتع بهذا الشراب، قبل أن يتعدى الدهر علينا بعواديته، فالدهر لا يترك أحداً على حاله، و (في زمان الشباب قابلني الشيب) فيجب أن نشرب؛ فشبابنا عكراً، وتأزر التشبيه الضمني مع هذه الكناية، لتأكيد هذا المعنى فشبابنا عكر، كما عكر أول الكأس برواسبه، كما وظف الكناية في إبراز الأثر النفسي للشراب، فهو يصير الجبان شجاعاً، والبخيل جواداً (واسقني ما يصير ذو البخل منه...)، وفي مقطوعته (يا طالب التزويج)، وظف التشبيه التمثيلي في دعوته إلى الفحش، والترغيب عن الزواج، طالبا من راعب الزواج ناصحاً إياه أن يكون كالزنبور الذي لا يستقر، بل يقترب من فريسته، ويلسع لسعته ويطيير، وفي مقطوعته (ما ليلة بت فيها) اتكأ على التشبيه البليغ في تأكيد أن ليلة مع محبوبته، أجل وأعظم من ألف شهر مع غيرها، (لكنت ليلة قدر أجل من ألف شهر) وتأزت الاستعارة التصريحية (غصن، وبدر) في تأكيد تفضيله محبوبته في تلك الليلة على غيرها، ولو كان غيرها غصناً وبدراً، وفي (سقائي شمول الراح) وظف التشبيه في إبراز الجو المحيط بشربه ولهوه، فساقية الخمر، عندما تنهل منها، فكأنك تنهل أخلص الخمور، كما أن الطبيعة ساحرة فاترة، فالهلال فاتر

ضعيف، كالمرأة التي تظهر من وراء غلافها، ودلل من خلال الكناية على قمة فجوره ومجونه في: (ليلة فطر...) ففي الوقت الذي يقوم الناس فيه للصلاة، يتضرعون إلى ربهم، هو يقوم بخلافهم مجاهراً بمعاصيه (وقمنا جهرة بخلافها)، وفي (يخلو فراش خلتي) كنى عن مدى نفور تلك الغانية منه التي فضلت أن يخلو فراشها من أي زوج، من أن ترتبط به، فأن تعيش وحيدة عزباء خيراً لها من ترتبط بهذه الشخصية التي قبحتها معاصيها، أما في غزله، ففي مقطوعته (نفسى الفدا لمن غدا) اتكأ على التشبيه البليغ (غدا قلبي أسيرا) الذي تآزر مع الاستعارة التصريحية (قمر) في الإبانة عن مدى سيطرة هذا الحب عليه، وكيف ملكت محبوبته عليه وجدانه، ولا غرو في ذلك فهي قمر، وليس أي قمر، بل قمر بخده زهر الربيع، وفي بيته (ترى في ابيضاض الكأس حمرة خده) وظف الكناية في تأكيد جمال وجه محبوبته الذي يتسم بالحمرة، فإذا انعكست هذه الحمرة على الكأس ظن الرأي أنها خمر، مع أنه لا شيء في الكأس، وفي مقطوعته (صدودك عني ولا ذنب لي) اتكأ على الكناية؛ لإبراز عور عينه (عيني الواحدة) الذي كان سبباً رئيساً في صدود محبوبته عنه، وكذلك في مقطوعته (يا ذا الذي ليس له شاهد) اتكأ على الكناية في إبراز عور عينه (ذهبته واحدة)، وفي مقطوعته (ناديت وجنته) اعتمد على التشبيه البليغ الذي أتى على صورة المصدر (رقمت بالمسك رقم الثوب بالقز) في إبراز صفة الجمال والرائحة الطيبة لوجنتيه، ومع كل هذا الجمال اختصته بأرفع الثياب، وهذه كناية عن حبها وتقديرها له، وفي مقطوعته (يا من فقدت سروري بعد بعدهم) أتت الكناية؛ ليدلل من خلالها على الأثر الذي تركه بعد محبوبته عنه، فمات من شدة الأشواق، وفي مقطوعته (يا أهل بغداد) أتت الكناية دليلاً لجمال عيون

فتيات بغداد، فإن كان بالهند تطبع سيوف الحديد، فإن ببغداد تطبع العيون التي تخلع قلوب العاشقين، أما في وصفه، فوظف الخيال في إيضاح موصوفه، وتحسينه ولو كان قبيحا، فحسن العور عن طريق الكناية في (له عين أصابت كل عين) أي فتنت كل من ينظر إليها، أما الأخرى فقد حسدتها العيون فأذهبتها، وكذلك في مقطوعته (ولست آسي لفقدي إنسان عيني) وظف الكناية عن قوة العلاقة بينه وبين محبوبته في تحسين العور، فهذا البياض الذي يظهر في عينه جزء من بياض محبوبته، استعاضت عنه بسواد عينه الذي جعلته خالا في وجهها، وفي وصفه الحمى، وظف الاستعارة في تشخيص الحمى بزائر غير مرغوب في زيارته (وزائرة تزور - تنزل بالفتي من غير حبه - تبيت بباطن الأحشاء - تمنعه لذيق العيش - تنغصه - أتت لزيارتي)، وكلها صور توحى بمدى النفور والضيق من هذا الضيف الثقيل، وفي وصفه الخطاف، اتكأ على التشبيه لتوضيح هيئة جناحيه فهما (كالخنجرين) حدة ودقة وذنبه (كالبارجين) انتفاشا، كما أوضح صوته وسجعه الذي يحاكي شدو الربيع، وتآزرت الاستعارة مع التشبيه في تحديد وقت قدومه من وطنه الأصلي (الهند) وهو الصيف (وطير يبشرنا بالمصيف)، وفي هجائه، أتت الكناية التي تآزرت مع الاستعارة المكنية، دليلا على مدى تمتع هذا المهجو بالوسامة والجمال، ما يدعو أن تهفو إليه النفوس الضعيفة (عرفه شيب بإنكار - أحاطه تأمر في الذنب بإصرار - مكسب آثام وأوزار - وجهه يدعو إلى النار)، وفي رثائه، نجح في توظيف صورته وأخيلته في التعبير عن مصابه الجل و مدى الحزن الذي انتابه بفقده، فأنتت الكناية دليلا على هذا الحزن (أقسمت بعدك لا أقول مديحا - الصبر يحسن عند كل مصيبة، وأراه بعدك مديحا) وشخصت الاستعارة الحزن

والتبريح بإنسان ليس له صاحب إله، كما جسدت الندى بشيء مادي يلقي
ويطرح بطرح المفقود، وأتى التشبيه البليغ الذي أتى على صورة اسم
الناسخ وخبره (أمسى طريحاً) أي أمسى الندى؛ لتأكيد هذا المعنى كما وظف
المجاز المرسل وعلاقته الكلية في التعبير عن قوة العلاقة بينه وبينه
(فالحشا مني لذرك لا يزال ضريحاً)، وتآزر التشبيه البليغ الذي جاء في
صورة اسم الناسخ وخبره لتأكيد قوة هذه العلاقة (لا يزال ضريحاً)، أي لا
يزال حشاي ضريحاً لك، وفي أوبته، وظف كل طاقات صورته في التعبير عن
ندمه على تشيعه ومجونه، فوظف التشبيه التمثيلي (لاح الهدى...) الذي
صوّر فيه الهدى الذي يجلو الغشاوة عن الأبصار، بضياء النهار الذي يجلو
ظلمة الليل، فكأنه يقول: إن حياتي كانت مظلمة بهذا التشيع، حتى أضاعها
رجوعي وعدولي عما كنت أعتقد، كما جسّد عن طريق الاستعارة الرشد
بشيء مادي يتضح أمام رؤية العين، بعد أن رفعت غشاوة الجهل عنها، كما
أوضح أهمية التوبة عن طريق الاستعارة التي جسدتها بشيء مادي يمحو
كل قبيح، كما وظّف التشبيه في تأكيد حبه صحابة رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - حيث شبههم - رضوان الله عليهم - بالنجوم الدراري، وأتت
الكناية؛ لتبرز مدى خوفه من الجليل - سبحانه - حيث كنى عنه - سبحانه -
وتعالى ب (عالم الأسرار)، فهو أعلم بالسر وأخفى، كما وظف المجاز
المرسل، وعلاقته الجزئية في (ما قدمته يدي من الأوزار)، حيث أطلق اليد
وأراد نفسها كلها؛ إيجازاً ومبالغة، وكنى عن جهنم ب (دار بوار) ليؤكد أنها
دار خسارة لمن عصى، وخالف المنهج القويم، وليؤكد اعتقاده، وموقفه من
الصحابة - رضي الله عنهم - كنى عنهم ب (خير الناس بعد محمد) (خير
الورى) (سادة أطهار)، كما كنى عن كل واحد منهم على حدة فكنى عن

سيدنا أبي بكر الصديق ب (صديقه وأئيسه في الغار)، وكنى عن سيدنا عمر بن الخطاب ب (السيد الصديق والعدل الرضي) وكنى عن سيدنا عثمان بن عفان ب (شهيد الدار)، وكنى عن سيدنا علي بن أبي طالب ب (الطهر المفضل، سيف الإله- قاتل الفجّار)، وكلها كنايات توحى بمدى حبه وتقديره للصحابة- رضي الله عنهم-

البديع:

شاعت المحسنات البديعية في شعر الشاعر، وقد أتت خادمة لفكرته بعيدة عن التكلف، ففي شرابه، اتكأ على الطباق؛ ليبين أثر الشراب على صاحبه في (واسقتي...) حيث إن الشراب يجعل البخيل كريما، ويجعل الجبان شجاعا، كما أن الشراب قد يجلو رواسب الشيب التي تنتاب الإنسان في وقت شبابه، فطابق بين الشيب والشباب في بيته الأخير؛ ليبرز هذا المعنى؛ وليعطي نغمة موسيقية تطرب لها الأذان، اعتمد على تقفية البيت الأول (غني...) وعلى حسن التقسيم (طينه عنبر، وحصاؤه در...)، وفي (يا طالب التزويج) اعتمد على المقابلة؛ ليؤكد دعوته (الترغيب عن الزواج) ويبرهن عليها، حيث قابل بين الاستقرار الناتج عن الزواج (لا تبغ في الدنيا نكاحًا لازما)، وبين عدمه الناتج عن عدم الزواج (وافعل بها ما يفعل الزنبور)، ناصحا بعدم الاستقرار، داعيا بأن نكون كالزنبور يلسع لسعته ويطير، وفي (ما ليلة بتُّ فيها) وظف الطباق، بين (الوصل، والبين والهجر) ليبين أثر وصل محبوبته، الذي جمع شمله، بعد تشتته ببينها، كما وظف مراعاة النظير (ضوء- صبح- فجر)، ليلانم بين ألفاظه، ويشاكل بين كلماته، وليبرز سبب منعه عن محبوبته في تلك الوقت، وهو طلوع النهار، وفي سقاني (شمول الراح) جانس بين (سوالفه، سلافها)؛ طلبا لأحداث

المتعة الموسيقية؛ وليؤكد أن سوائف محبوبته من جنس السلاف، وهي أخلص الخمر، وكذلك في (يخلو فراش) جانس بين (يخلو، خلتي، خلها مخل) وإن كان بالبيت ثقل ناتج من تكرار الخاء، وفي (نفسى الفدا) كان وسيلته في إيصال فكرته (شدة جمال محبوبته، وعدم صبره عن رؤيتها) إلى المتلقي المقابلة (أبصرت أعوانا علي، ولم أجد عوناً عليه)، ويقصد بالأعوان عليه بدائع حسنه وجماله، ولم يجد عوناً أي صبراً يعينه على هذا الجمال، وفي (ترى ابيضاض الكأس حمرة خده) وظَّف طباق التديب^(١)، بقصد الكناية عن صفاء تلك الكأس، وعن شدة حمرة وجه محبوبته، بين (ابيضاض وحمرة)؛ ليعبرز جمال محبوبته وحمرة وجهها الذي إذا انعكس على بياض الكأس، تبدو الكأس ملاًى بالخمر، وهو يخلو منها، وليؤكد هذا المعنى وظف الطباق (تحسبها ملاًى - لاشيء في الكأس)، وفي (ناديت وجنته)؛ حتى يشاكل بين كلماته، ويلائم بين ألفاظه، وظف مراعاة النظير، فجمع بين (الثوب والقر)، وفي (يا أهل بغداد) اعتمد على التقفية (أرقى، قلقي) والجناس بين (أسياف، وأسياف)؛ لإعطاء الجرس الموسيقي الذي تطرب له الآذان، وفي (وواعظ تيمنا وعظه) اتكأ على الطباق والمقابلة؛ ليعبرز المفارقة بين حالي هذا الواعظ، منطقه، وجماله، فعرف شيب بإنكار، ينهى عن الذنب، وألحظه تأمر به، لسانه يدعو إلى الجنة، ووجهه يدعو إلى النار، وفي (وزائرة تزور بلا رقيب) اعتمد على مراعاة النظير، ليعبرز أثر الحمي عليه التي منعتة (مأكله ومشربه)، وكذلك في (لست آسى لفقد إنسان

(١) التديب: أن يذكر الأديب ألوأناً بقصد الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من مدح وغيره، تحرير التعبير، لأبي الإصبع المصري، ت/ حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، مصر ص ٥٣٢.

عيني) جمع بين أمور متناسبة (إنسان، عيني، سواد، بياض) أي بياض العين وسوادها؛ ليؤكد أنه لم يحفل بهذا العور، لأن البياض الذي في عينه جزء من بياض حبيبته، وفي (وطير يبشرنا بالمصيف) اعتمد على مراعاة النظر؛ ليبين هيئة هذا الخطاف وصفته فجمع بين (جناحين، ذنب)، (سجع، هذيان، أنين) ليبرز هيئة الجناحين اللذين يشبهان الخنجرين، والذنب الذي يشبه البارحين، وجمع بين السجع والهذيان والأنين؛ ليبين صفة صوته، وفي (أقسمت بعدك)، اعتمد على التقفية (ل مديحا، ب صفيحا)؛ لإعطاء الجرس الموسيقي المطرب الآذان، واعتمد على مراعاة النظر، فجمع بين (دما، مسفوحا)؛ ليشير إلى كيفية قتله؛ فمات مصلوبا، وقطعت رقبتة، وطوف بها البلاد، وفي (لاح الهدى)، وظف الطباق في إبراز المفارقة بين حاله، قبل التوبة، وبعدها، (رأت سبيل الرشد عيني، بعدما غطى عليها الجهل) فطابق بين (رأت، غطى) وبين (الجهل) في أيام غيئه، (والرشد) الذي أتى نتيجة حتمية لتوبته، وطابق بين (تائبا) و (زلتي).

الموسيقى:

الموسيقى الخارجية عند (أسبه دوست)، تحققت من عدة نواحٍ وحدة الوزن: نلاحظ أن أكثر البحور ورودا في شعره (الكامل) حيث استخدمه في خمس (مقطوعات) (يا طالب التزويج) (ناديت وجنته) (نفسى الفدا) (أقسمت بعدك) (لاح الهدى)؛ وذلك لأنه بحر يصلح لكل نوع من أنواع الشعر^(١) فورد في مجونه، وغزله، ورثائه، وتوبته، كما أن هذه المقطوعات

(١) ينظر بحور الشعر العربي عروض الخليل، د. غازي يموت، دار الفكر اللبناني، ط ٢

شاع فيها الأسلوب الخبري، وهو أجود في الخبر منه في الإنشاء^(١)، يأتي بحر (المتقارب) في المرتبة الثانية؛ حيث ورد ثلاث مرّات (صدودك عني) (يا ذا الذي ليس له شاهد) (وطير يبشرنا بالمصيف)، فورد في غزله ووصفه، ولا يخفى ما للمتقارب من رنة، ونغمة مطربة، تصلح للغزل، كما أن تقارب أجزاءه جعله يصلح للوصف^(٢)، وأنت البحور (الخفيف، البسيط، الطويل، الوافر) مرتين في شعره، وأنت بحور (المجتث، والسريع، والرجز) كل بحر مرة واحدة، فنلاحظ غلبة البحور الصافية على التجربة الإبداعية عند الشاعر، حيث وردت في إحدى عشرة مقطوعة، من أصل تسع عشرة، موزعة بين (الكامل، والمتقارب، والوافر، والرجز)، ولا يخفى ما لهذه الأوزان من غنائية مفرطة، تتلاءم مع جو اللهو والمجون والغزل الذي كان يحياه الشاعر، كما أنها وردت في رثائه وأوبته؛ لما لها من نبرة تهيج العاطفة، أما البحور المركبة، فوردت في ثماني مقطوعات، موزعة بين (الخفيف، الطويل، البسيط، المجتث، السريع) ورد الخفيف في مقطوعتين (غني) (لست آسي لفقدي إنسان عيني)، وهو أنسب البحور لجو اللهو والغناء؛ إذ هو أخف البحور على الطبع، وأطالها على السمع، وأكثر سهولة، وأقرب انسجاماً^(٣) وورد الطويل في مقطوعة (سقاني شمول الراح) والبيت المفرد (تري في ابيضاض الكأس)؛ إذ يشيع فيهما التشابيه، وبحر الطويل يتسع للتشابيه والاستعارات، كما أن مقطوعة (سقاني شمول الراح) أقرب إلى الشعر القصصي، وبحر الطويل أنسب البحور لسرد

(١) ينظر بحور الشعر العربي ص ٩١.

(٢) بحور الشعر العربي ص ١٩٥.

(٣) ينظر بحور الشعر العربي ص ١٦١.

الحوادث، ووصف الأحوال^(١) وورد البسيط في مقطوعتين (يا من فقدت سروري) (يا أهل بغداد)، وفي المقطوعتين يشكو صبابته، وشدة شوقه، واستغل انبساط حركاته في عروضه وضربه (دهمو) (سكنا) (أجلن) (أرقي) (قلقي) في التنفيس عما انتابه من شدة شوقه، وورد السريع مرة واحدة في (وواعظٍ تيمنا وعظه) في وصف ذلك الواعظ، وبحر السريع يحسن فيه الوصف^(٢)، وورد المجتث مرة واحدة (ما ليلة بت فيها)، وهي أشبه بالأناشيد الخفيفة؛ فأنسب البحور لها بحر المجتث؛ لقصره^(٣). وحدة القافية: حرصاً منه على إحداث المتعة الموسيقية، التزم بوحدة القافية في جميع مقاطعه، كما اختار روي قافيته وحركته ملائماً للجو العام في القصيدة، ففي شرابه في مقطوعته (غني) اختار روي مقطوعته دالاً مكسورة، وفي مقطوعته (سقاني شمول الراح) اختار فاءً مكسورة؛ لتلائم الجو الهاديء المحيط به فكل ما حوله فاتر هادئ، وفي (يا طالب التزويج) اختار روي مقطوعته راءً مضمومة؛ لتلائم دعوته، فالداعي دائماً صوته عال، وإن كانت دعوته إلى فساد، وفي (ما ليلة بت فيها) اختار راءً مكسورة وفي مقطوعته (يا أهل بغداد) اختار قافياً مكسورة؛ لتلائم عاطفة الحزن العام المسيطر على المقطوعة، وفي مقطوعته (وزائرة تزور بلا رقيب) اختار هاءً ساكنة، ليلائم السكون الذي خيم عليه من جراء مرضه، حتى منعه أكله وشربه، ونغصت حياته، وفي عودته وأوبته اختار راءً مكسورة؛ لتلائم خضوعه وانكساره وندمه على ما قدمت يداه، فالقافية عنده جاءت طيبة غير مغتصبة، يتشوقها المعنى، ويتطلع إليها.

(١) ينظر بحور الشعر العربي ص ٣٤.

(٢) ينظر بحور الشعر العربي ص ١٤٤.

(٣) ينظر بحور الشعر العربي ١٩٢.

تقفية بعض مقطوعاته: وافقت عروض مقطوعاته ضربها، دون تغيير في العروض؛ ليعطي النغمة الموسيقية كما في (غني يا أعز ذا الخلق) التي نظمها على وزن الخفيف، وأتت عروضه وضربه صحيحين، وكما في (يا أهل بغداد زاد الشوق) التي نظمها على وزن البسيط، وأتت عروضه وضربه مخبونين، وفي (لاح الهدى) التي نظمها على وزن الكامل، وأتت عروضه وضربه مقطوعين، كما نلاحظ على قافيته سيطرت الأسماء عليها، فلم ترد الأفعال إلا مرة واحدة في مقطوعته (يا طالب التزويج) في بيته الأخير (يطير) حيث وردت على صيغة المضارع؛ لتفيد التجدد والاستمرار، فهذا الفعل القبيح من ديدنه، يفعله كلما وجد سبيلا إلى ذلك، أما الموسيقى الداخلية، فتظهر عند الشاعر في إيقاعه الذي جاء صدى لعاطفته، وذلك من خلال انتقاء ألفاظ تكون صدى لها، ففي توبته أتى إيقاع كلماته، يحمل معاني الندم على ما قدمت يداه، فلنتأمل (جلا، عدلت، الجهل، بوار، مترجيا، قدمته، يدي، الأوزار، عتقي، عذاب، النار)، وكما أحسن انتقاء الألفاظ أحسن التنسيق بينها، فلنلاحظ الإبداع الإيقاعي:

ما ليلة بتُّ فيها ضجيع غصن وبدر
الذ منه بطيب ومن جناه بخمر
جمعت بالوصل شملي من بعد بين وهجر

وفي رثائه أتى إيقاع كلماته يحمل معاني الحزن على مرثيّه (الأسى، الحزن، التبريح، مضيعا)، بما تحمل في تأليفها من صدى، ووقع حسن، وبما لها من رهافة، ودقة تأليف، وانسجام حروف، وبعد عن التنافر، ومن ملامح الموسيقى الداخلية: جمال صورته، التي نجح في توظيفها في الإبانة

عن مقصده، كما أتت صدى لعاطفته، وأتت أفكاره في مقطوعاته وقصائده مرتبةً مسلسلةً في بناء فني من بدايتها إلى ختامها، ففي عودته وأوبته، لاح له الهدى، فأزاح عن الأبصار غطاء الجهل، فأيقن بضرورة الرجوع والتوبة قبل الرحيل، فعدل عما كان يعتقد، وأصبح اعتقاده أن الصحابة- رضي الله عنهم- خير البرية بعده- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفي شرابه أتت الأفكار مسلسلة، فغنني، ثم اسقني، فكل ما يحيط بنا يدعو إلى الشراب، فيجب أن نقتنص الفرصة قبل تعدّي الدهر بعواديته؛ وحتى نزيح الرواسب التي كدرت شبابنا، وفي دعوته إلى ترك الزواج، أتت أفكاره مرتبة، فراغب الزواج جاهل؛ فلا يوجد متزوجا سعيدا؟ فلا تبغ نكاحا، واقض وطرك، واترك.



الخاتمة:

- أسبه دوست شاعر من شعراء الأسرة الديلمية.
- نشأ في ظل والد عسكريّ شغلته تكاليفه العسكرية عن الاهتمام بتربيته؛ فنشأ خليعاً ماجناً.
- عاش في ظل دولتين شيعيتين (الحمدانية والمرداسية) كان لهما أكبر الأثر في تشيعه.
- قضى جلّ في حمص موطن الخلاعة والمجون؛ فكانت أرضاً خصبة لخلاعته ومجونه.
- تأثر بكثير من الشعراء منهم ابن الحجاج الشاعر، وأبو نصر بن نباتة السعدي.
- كان من الشعراء العور الذي ترك العور أثراً سلبياً في نفسه.
- كان ولوعاً بالشراب؛ فتحدث في شعره عن الخمر، وساقية الخمر، ومجالسها وندمائها.
- تاب وحسنت توبته، ووصف تلك الأوبة شعره.
- أشعاره منثورة هنا وهناك في بطون الكتب، وخاصة كتب التراجم والطبقات.
- ألفاظ الشاعر لا تحتاج إلى مثل هذا العناء في البحث عن معناها.
- ألفاظه خفيفة الوقع على السمع، تطرب لها الآذان، بعيدة كل البعد عن الالبتذال والسوقية.
- ألفاظه أداة من الأدوات التي عبّر بها عن عاطفته.
- شاع الأسلوب الخبري في شعر الشاعر؛ لغلبة الوصف على شعره.
- أخطأ الشاعر في بعض معانيه التي تتعارض مع الخلق والدين.



- ابتكر الشاعر بعض المعاني، وبعض الصور التي لم يسبق إليها.
- سبقه بعض الشعراء في بعض معانيه.
- اتكأ الشاعر على الكثير من الصورة الجزئية من تشبيه واستعارة ومجاز، وكناية في التعبير عاطفته، والإبانة عن غرضه ومقصده.
- شاعت المحسنات البديعية لفظية ومعنوية في شعر الشاعر.
- أتت أفكاره في مقطوعاته وقصائده مرتبة مسلسلة في بناء فني محكم البناء من بدايتها إلى نهايتها.
- تحققت الموسيقى بنوعيتها: داخلية وخارجية في شعر الشاعر، وأتت ملائمة لعاطفته وفكره من خلال دقته البالغة في اختيار وزنه، وحرف رويه.



المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد القزويني، دار صادر بيروت.
- أساس البلاغة للزمخشري، ت/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب بيروت، ط ١ ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ت/ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ ١٤١٥ هـ.
- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين ط ١٥ ٢٠٠٢ م.
- الأمثال زيد بن رفاعة الكاتب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١ ١٣٥١ هـ.
- أهدى سبيل إلى علمي الخليل، د. محمود مصطفى، مكتبة المعارف، ط ١ ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- تاج العروس، للزبيدي، ت/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تحرير ألفاظ التنبيه، محي الدين النووي، ت/ عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط ١ ١٤٠٨ هـ.
- تهذيب اللغة للأزهري، ت/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.



- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية بيروت ط٢، ١٤٢٤هـ.
- الذخيرة، لابن بسام الشنتري، ت/ إحسان عباس، دار الثقافة بيروت.
- الروض المعطار في خير الأقطار، لأبي عبد الله الحميري، ت/ إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ط٢، ١٩٨٠م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود، نور الدين اليوسي، ت/ محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- المجموع الليف، لأبي جعفر الطرابلسي، دار الغرب الإسلامي بيروت ط١ ١٤٢٥هـ.
- يتيمة الدهر، للثعالبي، ت/ مفيد قميحة، دار الكتب بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.



فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٣٤٥
٢-	Abstract	٤٣٤٦
٣-	المقدمة	٤٣٤٧
٤-	حياة الشاعر والمؤثرات في شعره	٤٣٤٨
٥-	أشعاره	٤٣٥٨
٦-	شعر المجون في الشراب :	٤٣٦١
٧-	الغزل :	٤٣٦٨
٨-	الوصف :	٤٣٧١
٩-	الهجاء :	٤٣٧٥
١٠-	الرثاء :	٤٣٧٦
١١-	العودة والتوبة :	٤٣٧٨
١٢-	الدراسة الفنية	٤٣٨١
١٣-	اللفظ والأسلوب :	٤٣٨١
١٤-	المعاني والأفكار :	٤٣٨٤
١٥-	الصور والأخيلة :	٤٣٩١
١٦-	البديع :	٤٣٩٦
١٧-	الموسيقى :	٤٣٩٨
١٨-	الخاتمة :	٤٤٠٣
١٩-	المصادر والمراجع :	٤٤٠٥
٢٠-	فهرس الموضوعات	٤٤٠٧